

83C



New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

DUE DATE

DUE DATE

* ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL *

RETURNED

DEC 11 2005
MAR 23 2006

BOBST LIBRARY
CIRCULATION

BOBST LIBRARY



3 1142 02910 5742



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

ZIYĀDAH, MAYY

11

ظلمات وأشعة

بقلم « مي »

ZULUMĀT WA-ASHI'ĀH

نشرته

مجلة « الهلال »

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة

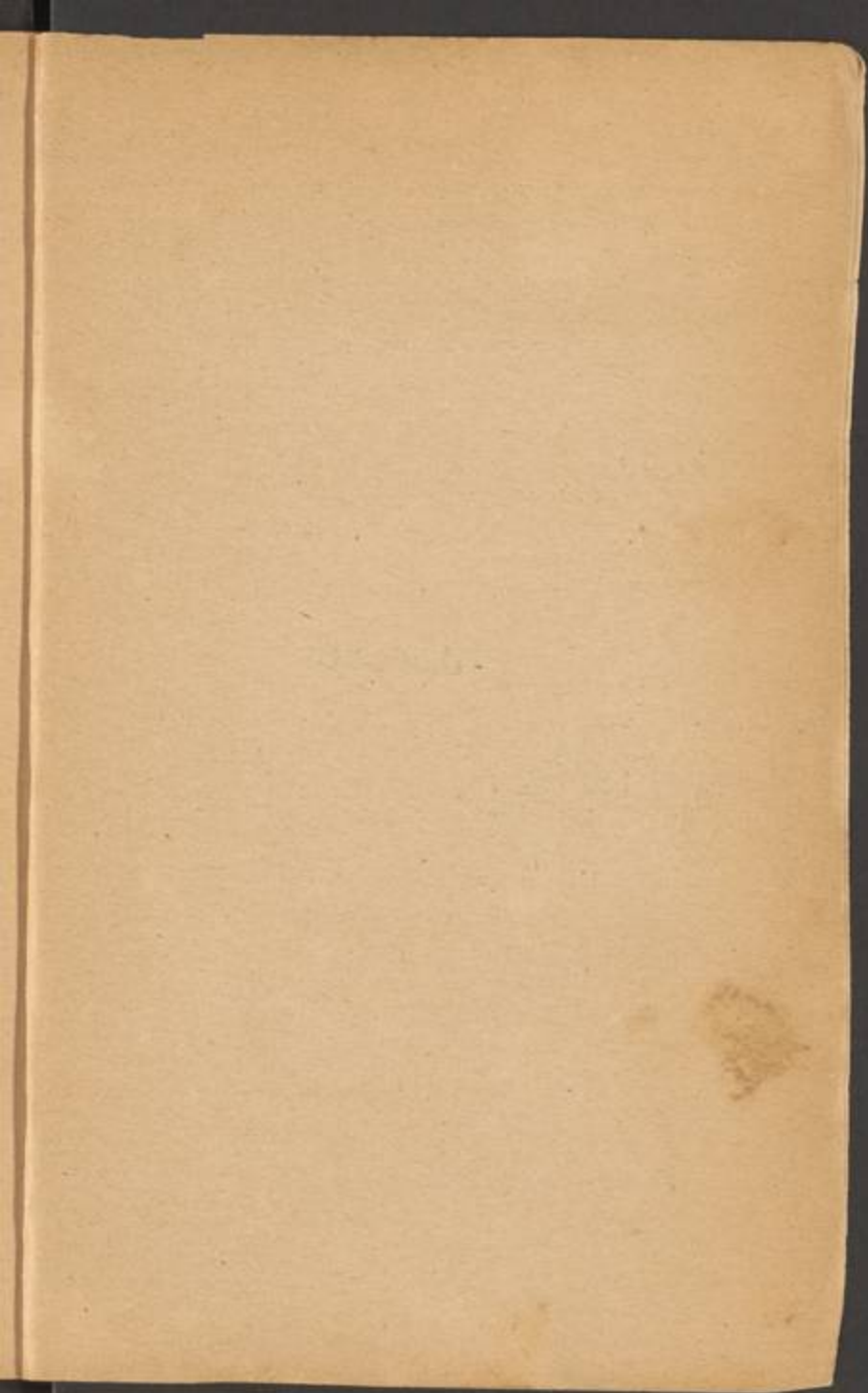
مطبعة الهلال بشارع نوبار نمرة ٤ بمصر

سنة ١٩٢٣

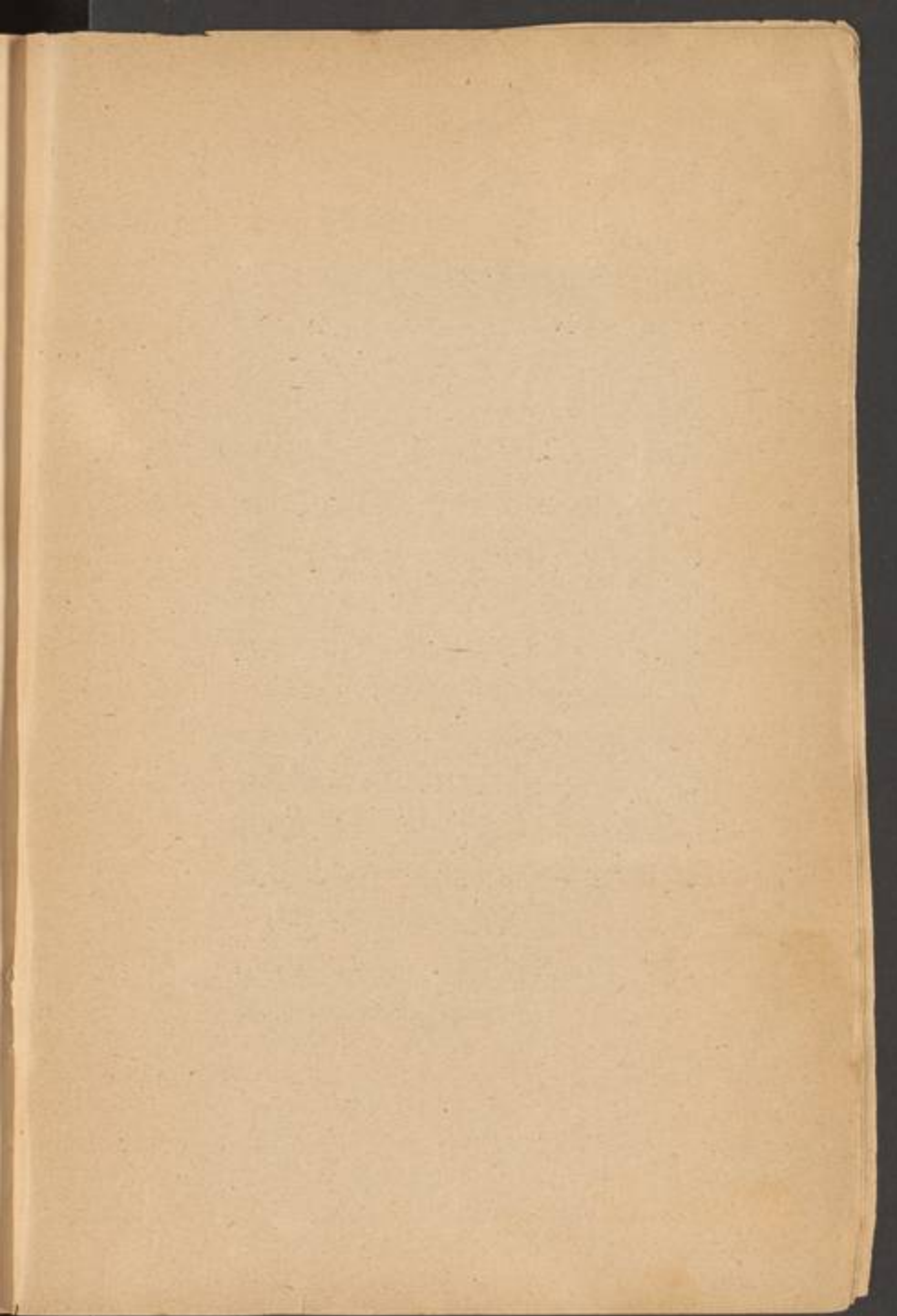
PJ
7876
.I9
Z43
1923
C.1

الكتاب الاول

من كُوَّة الحياة



... وقتت تندكوة الحياة لا أدري لماذا أقف ومن
ذا أوقفني هناك . واذا بالناس في السبيل يمرون . فأخذت
أفحص الوجود منهم والحركات لعلي أعثر على ما يجعلني مختلفة
عنهم وهم مختلفين عني . ولعلي أدرك ما هذا الذي يطلب
مني رغم حدائتي وحيرتي وجهلي وقلة اختباري . فصرت
أعجب بالناس وأغبطهم على ما لديهم وليس لي أن أفوز
بمثلهم . وأتدري بمظاهر السكابة عندهم لتكون تلك المظاهر
صلة . ولو واهية . بيني وبينهم . على أنني لم أزدد الا
شعوراً بحيرتي وعجزتي . لم أزدد الا شعوراً بأنني خيال
لا ضرورة له ازاء تلك الأقوام الفرحة الضاحكة - مع
ان هذا الخيال يطلب منه شي . كثير لا يدري ما هو .
فظننت لحظة اني وصلت الى قرارة اليأس واني شربت كأس
المرارة حتى الخثالة . ثم أوحى الي بأن هناك وجوداً غير
ملموس يدعى السعادة . وشعرت باحتياجٍ محرقٍ الى التعرف
اليها والتمتع بها . ففهمت أنه ليس أقتنى على النفوس في
انفرادها وسكوتهما وعجزها من تلقى ذلك الوحي العنيف
والشور بذلك الاحتياج العميق ...



أنا والطفل

أنا
والطفل
هناك بعيداً عن المدينة وضوضائها ، في الطريق
المؤدية الى قصرٍ كان بالأمرس للخبو اسماعيل ولم يعد
له ، على شطّ معبود المصريين ومرضع سهول إيزيس - ،
على شط النيل النائح في سيره على رفات العذارى المبعثر في
أعماقه - هناك روضةٌ غناء مفتوحة لجميع الداخلين وقد
حفظ جوؤها أحلام زائريها المتأملين

قصدتُ الى الحديقة في صباح يوم منير . نبذتُ عني
عادات المدينة فافترشت الثرى كما يفترش سكان البادية رمال
الصحراء ، وتمددتُ على العشب الأخضر في فيء شجيرةٍ
عند قدمي أحد التماثيل المنصوبة هنالك

لم أرَ حولي سوى سيدتين انجليزيّتين مع احدهما ثلاثة
أطفال . وإن هي إلا دقائق حتى اقترب مني أحد هؤلاء ،
وهو صبي في الرابعة من سنواته . فناديتُهُ قائلةً « تعالَ
اليّ ، أيها الصغير ! »

انا

والطفل

فدنا واجفأ باسمك ، فسأتهُ - « ألا تجلس على ركبتى ؟ »
 جلس صامتاً

ولما شعرت بثقل جسده الصغير ذكرت أخى الوحيد
 الميت ، ووثب قلبي الى شفتي وجالت الدموع بين اجفاني .
 فملت الى الطفل امتصُّ من حلاوة وجنته ، لاهيةً بتلك
 القبلة عن كآبتي المتصاعدة من فؤادي كما يتصاعد الغيم من
 أطراف البحار

ما أعذب قبلة الاطفال ، وما أطيّب طعم ابتسامهم !
 ثم سألت الطفل - « ما اسمك ؟ »
 قال - « روبرت »

نظرتُ في وجهه فاذا به آية من آيات الجمال الانجليزي:
 وجهٌ شفافٌ كأنما هو عصير وردٍ وباسمين تجمّد فنُحِتَ
 وجهاً بشرياً . وفمٌ كزرّ الورد لطفاً وانكماشاً . وجبهةٌ
 كبيرة عالية يخفيها شعر ذهبيٌ مسدولٌ عليها . وعينان لهما
 زرقة عميقة كزرقة البحار بُعيد الغروب ، وهما كبعض
 العيون الانجليزية في جودهما الظاهري وحرارتها

الخفية وحلاوتها وتلاعبهما . نظرت في جميع هذه الملامح أنا
متمعنة ، فقات للطفل - « من أين أتيت بعينيك ، والطفل
ياروبرت ، ومن أعطاك زرقهما ؟ »

أجاب ، ولم يفهم غير كلمتي « من أعطاك » :
- « ماما »

قلت - « قرّت عيننا أمك بك ا وأي عملٍ يعمل
أبوك ؟ »

قال ، واثغاته اللطيفة تتدحرج على لسانه متعثرة
بشفتيه :

- « بابا ضابط . وأنا عسكري مثل بابا »

قلت - « أنت جميلٌ وأنا أحبك ياروبرت . هات
يدك »

قال - « Yees, than kou »

يد الاطفال عجيبة حلوة كابتسامتهم . أخذت يد
روبرت أقرأ فيها ما خطته يدُ الافدار . يدٌ مربعة كبيرة
الابهام وفيها كل من خطوط الحياة والعقل والقلب واضح جلي ،

أنا
والطفل
وتلُّ المريح يرتفع في تلك الكف الصغيرة متهدداً
متوعداً . . .

فنظرتُ إليه وخاطبتهُ همساً :

— « هذه اليد التي تنقل اشاراتها اليوم ما حفظتهُ من
اشارات الملائكة ، هذه اليد التي لا تمتدُّ الا المداعبة الندى
ولس الازاهير ، هذه اليد الصغيرة الطرية سوف تصيرُ يد
جنديٍّ ، سوف تقبض على السيف والحربة وتطلق النيران
من أفواه المدافع ، سوف تفتك بحياة البشر أشراراً كانوا
أم ابراراً ... »

قال روبرت وهو يضرب أديم الحديقة بقدميه :

— « أنا عسكري مثل بابا ! »

قلت : « نعم ياروبرت ، عندما تبلغ سنَّ التجند
تصبح جندياً . وستكون جميلاً في ثوبك العسكري ،
ستكون جميلاً جداً ، لكن اقلَّ جمالاً منك اليوم وأنت
بأبواب الطفولة . سوف تبسم لك النساء لانهنَّ يملن الى
الجنود ، ومذهَّبُ الكلام والصدور يسير بهنَّ الى عالم

الاحلام . وهذه اليد الصغيرة الضعيفة سوف تكون كبيرة
 قادرة تؤلم وتشقي وتُثْمِتُ ، سوف تلمس آلات التدمير
 والهلاك بعزم وثبات ! وعينك الجميلتان سوف تكونان
 عيني جلاذيري الدماء والدموع دون ان يلين أو يرحم ...
 وقلبك ، ترى كيف يكون قلبك الذي لا يُدرك اليوم ولا
 يشعر إلا قليلا .. ؟

« أتكون من الكثيرين الذين لا يحسبون للعواطف
 في الحياة حساباً ، فيلعبون ويضحكون ويتمتعون ويحزنون
 دون استبقاء أثرٍ لما يختبرون ، بل تمرُّ الافراح والاتراح على
 نفوسهم كما تسقطُ دموعُ الغيوم على صفحة الزجاج فلا تترك
 عليها سوى ما لا يلبث ان يزولُ . . . أم تكون من اولئك
 الذين يشعرون بقوةٍ وحدّةٍ ويتظاهرون بعكس ذلك كبيراً
 وخجلاً ؟ . . . هل تضربك يوماً يدُ امرأةٍ تضع في عينيك
 للحبّ دموعاً وتغمّد في فؤادك من اليأس خنجراً ؟

« غداً ، ياروبرت ، تنمو جسداً ونفساً ، غداً تقف
 على أحوال البشر فتجد ذاتك وحيداً في معترك الحياة ؛

أنا
والطفل

غداً تعذبك المسؤولية وتضنيك المجاهدة ، ويلذعك لهيب
الفكر وتذيبك نارُ الهيام . غداً تذوق ظمأً الروح . غداً
تصير إنساناً ، يا لهول الكلمة ! غداً تصير انساناً أي
حيواناً وإلهاماً معاً : .. »
صمتُ طويلاً

وفي ذلك الهدوء الشامل في حضن الطبيعة تصاعدت
نعمة حلوة من أطراف الخديقة وانتشر تموجها على انفاس
الازهار : وكان ذلك صوتُ المؤذنُ يُرَدِّدُ في الظهيرة
ما أنشده في الفجر وما سميدهُ عند الغروب

فسألت - « هل سمعت الصوت ، يا روبرت ؟ »

أجاب - « Yees »

قلت - « عمّا قريب تعرف ما هي الميثولوجية ، وما
هي النصرانية ، وما هو الاسلام . عمّا قريب تفهم ما هو
التعصبُ الديني والجنسي والعالمي والعائلي والفردي . عمّا
قريب تعلم ان الانسجة التي تخاط منها أبواب العرس تصنعُ
منها اكفان الشهداء . عمّا قريب ترى الاقوام يفتكون

بالاقوام لانهم محتشدون حول قطعة نسيج صُبِغَتْ بلون
 غير لون نسيجهم . عما قريب ترى كل هذا ، يا روبرت ،
 وتشارك فيه لانك عسكري مثل بابا ! »

انفصلتُ عن روبرت بلا قبلة ولا تحية . انا لم اقبله
 لاني وقفتُ متهيبةً امام رجل الغد منه . وهو لم يقبلني
 لاني لم اعطه كمكاً ولا حلاوى ...

بين عامين

بين شطيّ الماضي والمستقبل يجري نهر الحياة ثلّاً
 بعقيقه الفخم ، ليصبّ في بحر الابدية حيث لا جديد ولا
 قديم ؛ وخيالات البشر تمهادى بين جماجم الموت وأغراس
 الحياة مخفية طيّ ضلوعها كثيراً من الآمال وكثيراً من
 الكلام

فإلى بحر الابدية ، أيها العام الراحل !
 وأنت أيها العام الجديد ، إينا !

وطئت الأرض طفلاً جميلاً ، فنبهت في قلوب الشيوخ
 الحنان و كنت صلة حبّ بين أرواح الخُلصان
 امتزجت نسياتك بدقائق الاثير فأصبح مغرداً
 لامعاً ، وامتشقت حسام الصبح ضارباً أعناق جيوش

بين
عامين
الظلام فسالت منها الدماء في المشرق وملأت كتابُ النور
الارض والسماء

وداست أعقابك على هام الايام فأفنت قديمها وغدا
اليأس أملاً والنواح تهليلاً

هي الانسانية طفلة في هرما كلما ذاقت عذاباً رجت
حظاً ، ولئن مزقت أحشاءها الضغائن والاحقاد فوجات
الحبّ العظيم ما برحت غامرة فؤادها

فاسمع هتافها متخللاً أصوات الصباح : رحماك ، أيها
العام ، رحماك !

لقد كتبت اسمك يدُ الزمان على باب الوجود ،
فساعدنا لننقش أسماءنا على باب السعادة !

كنّا بالامس نانس الاوتار فتسيل عليها الدموع
مرخية قواها ، فما تسمعنا سوى شكوى المذلة وأنين
العبودية . أما اليوم فتريد ان ننعش أرواح العيدان لنوقع
أسمى المبادئ على أعذب الالحان

رحمك أيها العام الجديد ، الانسانية تتألم فافرق بها !

رحمك ، أيها الطفل الحبيب !

بين

تعال نعطيك القبلات السنوية الثلاث : فعلى جبهتك

عامين

قبلة الرجاء ، وعلى ابتسامتك قبلة الوداد ، وعلى يديك قبلة

الالتماس والتوسل

جبهتك مستودع الافكار ، وابتسامتك عبير

الازهار ، ويداك رمز انقوة المنتقلة أبدية من أدهار الى

أدهار

هذه أمانينا نلقي بها عند قدميك فلا تدسها فتلا شينا

بل ضمها اليك فتحيينا

(١٩١٣)

نشيد نهر الصفا

عين زحلتا قرية لطيفة يعرفها الذين اعتادوا الاصطياف
في جبال لبنان ، وألطف من القرية نفسها غابات الصنوبر
التي تحيط بها ، وأجل من هذه وتلك منظر نهر الصفا
المتدفق عند قدم الجبل ، وعلى بعد أمتار قليلة منه يركض
نهر القاعة

كل من النهرين يسرد حكايته الابدية على الاشجار
المصفية اليهما بحلها السنديه . ويظل النهران في اندفاع
وشكوى ، وروح الوادي تنث في ارضها الى أن تنث
مياههما مياه البحر العظيم

هنا سألت صور الكون الهولوية وذابت ذراتُ
الاثير؛

هنا اجتمعت بلابل ارفيوس لتعيد ذكرى أوريديس
ذات القلب الكسير ؛

هنا تنهدت العطورُ تنهداتها الغرامية ، وتحولت
الورودُ الى أشعةٍ سحرية ؛

هنا اغتسل قوس قزح ، فترك في الماء من ألوانه ألحانا
تسبر
فضية ،
زر

ومن دماء الاحلام المتجمدة استخرج قوس قزح ألوانه
الصفاء
السرمدية ؛

هنا بعث الافقُ بأسراره الى الارض مع خيوطٍ من
الاثير ذهبية ،

هنا نامت الاشباح بين أجفان بنات المياه ، فامتزج
النور بالظلام وتلاشت اليقظة بالمنام ،

هنا ناحت حمام الشعر وغنت أطيوار الانعام ؛

هنا لثمت النسيم شوقاً وهيام

ومداعبة الموجه للموجه تبادلُ نظرةً وابتسام ،

وجود الشاطي ، حقدٌ على فتور الليالي ومعاكسات

الأيام ؛

هنا ارتعاش الاوراق على الغصون تحيةً همت من مقلٍ

الكوكب وسلام

وتمايل الافنان ودلالها نجوى ملك الوحي والالهام ،

هنا ليلة انوارٍ وجفراً ظلامٍ والغاز ملامسٍ وألوانٍ
وأنعامٍ ،

نشير

نهر

الصفاء

حينما يمرُّ الفجرُ على قمم الجبال يرى صورته في هذه
المرآة البلورية - يرى رمز الشبيبة مع ما يتبعها من
الآمال النضرة كالازهار ، والاميال المتقلبة كالاطيوار .
ثم يأتي الغروب ساكباً في اعماقها مرارة أحزانه مع
ما يرافقها من النظرات المتحوّلة ، والابتسامات المتغيبة ،
والجباه الكئيبة ، والشفاة المتحركة بالصلوات ، الساكنة
بالتأملات

هنا عيدان الاشجان تبكي ، تبكي بقلب جرح . وفي
كل لحظة يخيل أنها تسلم نفسها الاخير بشهيق فيه من اللوعة
والكتمان والتجلد بقدر ما فيه من المجد والعظمة ، من البسالة
وعزّة النفس الايية

لكنّ المياه لا تموت ولا تحيا ، بل تعيد ذكرى
الماضي وتهمس بنبوّتها في المستقبل ، وتكرّر أصوات
الافراح وتردّد آهات الاتراح

هنا لغزٌ من ألغاز الحياة وليلة من ليالي الزمان . وأنا لغز
 أمام هذا اللغز ، وليلة ازاء هذه الليلة . أهيمُ وحيدةً على
 الشاطئ والحزين ، انظر ولا أرى ، اسمع ولا افهم ، ابحت
 ولا أجد ، استعلم ولا اعلم فؤادي يحقق مع فؤاد
 النهر الخفي ، ونفسي قيثارة الاحلام والالخان . لكنني لغزٌ
 حيٌّ تائه في ظلّ الغصون ، ينظر مستفسراً الى لغز
 آخر فلا يجد فيه إلا صورته ، فيودُّ تمزيقها وسحقها
 وان أحبها !

نسيب

٧

الصفحة

عند احتضار النهار ذهبتُ الى رأس النبع وجلست على
 صخرة قائمة في وسط المياه المتسلسلة من صدر الصخرة الكبيرة .
 جلستُ وأرواح الخيال تتنشق الاربيع العطري المعانق
 لشعور بنات المياه . وآلهة الاهوية الاربعة يتلاعبون بدقائق
 الشفق ساجدين على أمواج الظلام . وحول اشباحهم تلتفتُ
 كليل البنفسج وقلائد الياسمين ، وفي ثغورهم يلمع فتيت
 النجوم ، بينا أ بكر الشعر تسرُّ لآخواتها خفايا اليأس والرجاء

نسيب

٧

الصفحة

أنا لغز

ة على

ابحث

فؤاد

في لغز

لغز

سحقها

ت على

كبيرة.

المعائق

بدقائق

تلتفت

فتيت

والرجاء

تحت أشجار الصنوبر ، وعذارى الطرب تستخرج من عنقيد
 « باخوس » خمراً تسكر به الآلهة . ومن سكر الآلهة
 يولد الشعراء والانبيا.

على هذه الصخرة حيث أنا احلم ثملة بما شربتهُ مشاعري
 من رحيق الخيال العالوي ، كان يجلس الامير بشير الشهابي
 الكبير . كثيرون بعده وقبلي جلسوا هنا وفؤاد كل
 منهم منقبض تهيباً وخشوعاً أمام أنفاس الطبيعة وأصوات
 الخلود . ما يجول بخاطري الآن كان يجول بخاطرهم لأن
 الافكار تتشابه في المصدر وفي النتيجة رغم تشعبها
 وتفرعها ، والرغائب الكثيرة اللاصقة في أعماق النفس
 البشرية هي في كل آن ومكان

جميعنا طرح السؤال الذي ألقيه الآن على المياه
 المتراكضة : هو سرّ الاسرار الغامضة الذي يرجعه
 صدى الهياكل المشادة في قدس اقداس البشرية : من أين
 وإلى أين ؟ من أين وإلى أين ؟؟

من أين تأتي أيتها المياه وإلى أين تذهبين ؟

نسير
 نهر
 الصفا

... من أين أتينا وإلى أين نذهب؟ ...

المياه تتدفق إثر المياه مهللة مكبرة ، وقد رَفَعَتْ
أصواتها في الغناء والنحيب ، ودمدمت العناصر فيها أسرار
الفيض الالهي ، ورفرفت على جوانبها أجنحة الخلود ...
من أين وإلى أين ... ؟

ثقل دماغي بأفكار لا أدركها ، وضاق مني الصدر
لهوم لا أعرف ماهيتها ، فنزعتُ عن ساعدي ساعة
وَضَعْتُ في اسورة ذهبية ونظرت إليها قائلة : - « أيتها
الساعة ! أنتِ رمز الوقت الجاري في نهر الزمان فيسير قاصداً
بِحجر الابدية . ها انا اغطسك في هذه المياه ... عمى ان
تحفظني في حياتك المعدنية أثراً لرموز معنوية » . ثم جمعت
بعض الحصى الملونة الجميلة الراكدة في أعماق النهر ، قائلة :
« أيتها الجواهر ! سأحملك معي الى وادي النيل لتذكريني
بالعواطف الكثيرة التي تلاطمت في فؤادي امام نهر الصفا ..
أنتِ ذكر الابدية التي حييتُ فيها لحظة »
واذ رفعتُ عيني الى الافق رأيت مقلة الزهرة ترقبُ

تفسير

٧٧

الصفحة

يد ملك الظلام الراسمة على رداء الليل صور الهيئات السماوية
فغادرت رأس النبع مرددة: أنهر الصفا! من أين
والى أين؟

أنهر الصفا! جثتك تعبـة الروح والجسد معاً
قرأت خلاصة الاحوال الحاضرة فدوى في مخيلتي
هدير المدافع، وتمثلت لناظري صور الحرب الخيفة. ثم
قصدت الاجتماعات فملاً اذني ضجيجها التافه، وضجرت
نفسي من معانيها السطحية ومراميتها الخبيثة. عجبت
لبلاهة الانسان وركاكة امياله وفتور همته. اذذاك سمعت
اسمك الموسيقي فاحببته لأن فيه جمالاً وعدوبة وسلاماً
لقد احرقت قدمي الرمال الحارة، ومزقت يدي
أشواك الحياة، جثت أستخلص من أعشابك بلسماً
لجروحي. تعلق بأهدابي غبار المادة محالاً إخفاء الجمال
المعنوي عن عيني، فأثيت أغسل أهدابي بمياهك المقدسة
جثت لأرطب يدي وعيني برضايبك العذب

نُسب

نهر

الصفاء

نَسِير
نهر
الصفحة

تَقُلُّ فُوَادِي عَلَيَّ ، فَاسْرَعْتُ لِأُبْعَثَ بِهِ مَعَكَ إِلَى
رُوحِ الْبَحْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَنَادِيكَ مِنْ عَمَقِ أَعْمَاقِ زُرْقَتِهِ
الْبَعِيدَةِ

أَنْتِ ابْنُ الْغَيْومِ ، وَالْعُوبَةُ الْحَرَارَةُ الْهَوَائِيَّةُ ، وَضَحْكَةُ
الْمَادَّةِ الدَائِمَةُ ، وَقَهْقَهةُ الْجَوِّ بَيْنَ الْمَضَابِ وَالْإِوَادِيَّةِ . أَنْتِ
قَبْلَةُ الشَّمْسِ لِلْبَحْرِ . أَنْتِ أَنْشُودَةُ الْجَبَلِ فِي الْوَادِي . أَنْتِ
الرُّوحُ الصَّغِيرَةُ الْمُسْرَعَةُ إِلَى احْتِضَانِ الرُّوحِ الْكَبِيرَةِ
أَنْتِ عَمِيقٌ كَأَسْرَارِ الْجَنَانِ ، عَذْبٌ كَنَظَرَاتِ الْوَلَهَانِ ،
وَفِي اسْمِكَ أَلْوَانٌ وَالْحَانَ ،

أَنْتِ تَهْلِمُ بِي ، أَيُّهَا النَّهْرُ ، تَخْذِنِي مَعَكَ بَعِيداً عَنِ
الْحَيَاةِ وَضَوْضَائِهَا ، خْذِنِي مَعَكَ . . . لَكِنْ ، مَا هِيَ نَسْبَتِي
إِلَيْكَ ؟

أَنْتِ مَجْمُوعُ سَوَائِلٍ لَا وَجْدَانَ لَهَا ، وَلَا قَلْبٍ يَخْفِقُ
بَيْنَ اجْزَائِهَا . وَأَنَا . . . أَنَا شَيْءٌ آخَرٌ . أَنْتِ لَعَزُ بَيْنَ الْبَحَارِ
وَالْآفَاقِ ، وَأَنَا لَعَزُ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَاللَّاهِيَةِ . أَنَا أَعْرِفُ أَنِي

لا أفهمك ، واشعرُ بجهل الانسان وشقائه ، أما انت . . .
ما لنا ولك ؟

نمبر
٧
الصفحة

سيري ، أيتها المياه ، سيري واتركيني . أسقي النباتات
والاعشاب ، ضعي لآلىء في ثغور الورود ، رطبي صدر
الارض الملهب ، ترنمي في وحدة الوادي ، اسردي حكايتك
التي لا تنتهي ، اندي هلي ، اصرخي اهمسي ، انشدي
انجي ، اطربي احزني . كل هذا ننسبه اليك ، نحن ابناه
الذسوة والكآبة

سيري ، ايتها المياه ، ودعيني ابكي . لقد تلبّد جو
فكري بالغيوم القائمة ، وقاي - مالك - وله ١ - متفرد
حزين . . .

(١٩١٢)

الساعة المفقودة

الساعة
المفقودة

جعلها أرباب التجارة حلية نسائية وأتقن الجوهري
وضعها في سوار ذهبي فكانت نصيبي في الشرى
صورة مصغرة للكون، كذلك كانت ساعتني: مساحتها
رمز للفضاء، دورتها ومرسح الانهائية، حدودها حدود
الامكان، علاماتها مقاطع الوقت الذي رتبّه الانسان، ساعاتها
مقياس الاعمال، دقائقها خوف من هجوم الرزايا وترقب
لوفود الآمال، ثوانها دقائق القلب... من الثواني يتألف
الزمان ومن نبضات القلب تُنسج الحياة نسجاً
فيا لهول ثواني الزمان، ويا لهول نبضات قلب
الانسان!

بين ثانيةٍ وثانيةٍ يلتقي المدوّان في أحشاء الثرى: الماء
والنار، فتميد الارض بمن عليها وتتفطر أساساتها فتقذف
البراكين مقذوفاتها الجهنمية وسوائلها النارية، وترفر الطبيعة

زفرتها القتالة فقتلهم صروح العمران وتفتح صدرها مرحة
بينها. تفتح صدرها مرحة فيتدحرجون الى الهاوية التي
ليس فيها من يعود على وجه البسيطة مخبراً

بين ثانية وثانية يتلاقى الجيشان في ساحات الوغى
فتدوي رعود المدافع في الفضاء، وتحتطف بروق السيوف
غالي الارواح. ولأجل كلمة غالب او مغلوب تندك
عروش وتنتصب عروش، تدمر ممالك ويعمر سواها،
تخرب مدائن ويشاد غيرها، تتجدد أفراد وتفتى مجاميع
فترتدي الاقوام سواد الألوان وفي نفوسهم لوعة الفقدان
وسواد الاحزان

بين ثانية وثانية يموت أمل ويحيا يأمن، تبسم شفة
وتدمع عين، يخون صديق ويخلص عدو، بين الثانية
والثانية!

وبين نبضة ونبضة هناك سر الاسرار. دماء منبعثة
الى القلب ودماء منبعثة منه، تهافت عليه جرائم الموت
فتخرج مطهرة حيوية. بين النبضة والنبضة تأثيرات تهتز لها

الساعة
المفقودة

وهري
ساحتها
حدود
ساعاتها
ترقب
يتألف

القلب
الماء
قذف
لطبيعة

الساعة
المفقودة

اسس العمر ، واففعالات تشخص لمرورها ذرات الكيان .
اشتعال الفكر وخمود العاطفة ، ظفر البلاهة وتقهر النبوغ ،
لذعات الغرام والحسرات العظام ، قنوط ورجاء ، سعادة
وشقاء ، هتاف الروح المسلّمة ولهات الروح المودعة

الساعة
المفقودة

يا ابنة ابيك ! يغدرنا الزمان ساعة الرجاء ، ويخوننا يوم
الصفاء ، ويهجرتنا حين اللقاء : فأنت غادرة خائنة هاجرة
كالزمان ، يا ابنة الزمان !

كم من ساعٍ طيباتٍ وقعتُ مرورهنّ على دوران
عقريك وفكري يناجيك بأحاديث هداة وضلاله ! أبتسم
لك عند السرور فأخيلك صامتةً تبسمين ، وأتهد حيالك
يوم الاسبى فأحسبك تنهدين وتحزنين ، وكأنّ عقريك
ذراعان يمتدان نحو العلاء مستغيثين متوسلين

لما أفنت قلبي وحدة القلب ضغطت بك على ساعدي
قائلة « أنت الصديقة التي لا تخون » . ولما مزقت سمعي
أكاذيب الناس وأحاديثهم المؤذية ، خاطبتك قائلة « أنت

لا تؤذنين لانك لا تتكلمين . ولما أذابني الجهل بدعواه الساعة
والغرور بسخافته ، نظرتُ اليك قائلة « أنت عالمة لذلك
المفقودة تصمتين »

وكنت تعزيقي ،

وكنت زماني ، يا ابنة الزمان !

وعلى هذا ما كان أطول اعراضك عني واقل اهتمامك
بي ! في النهار كنت تطوقين ساعدي فيوجعه أثر سلسلتك
وأجيب انا على هذا العنف بامسة التلطيف . وفي المساء كنت
تستريحين بجوار وسادتي فأوقع على موسيقاك الساهية الحان
أحلامي وآمالي ، وفي المساء كنتِ اول عينٍ اشاهدها
واول روح استجوبها

كل ذلك وانت لا تنتبهين

وها قد هجرتني ، فقدتك وفقدتني فسيري بحراسة

الله وانسيني !

ولكن انتخبي اليد التي ستطوقينها !

فاذا وقعت في يد شريرٍ وقصد استملاك ليؤذي أخاً

الساعة له ، فاتقلي أفعى لساعة ولا تبرحي مفرغة فيه سمك حتى
المفقودة تصرعيه قتيلاً

... لكن لا ! لا ، ليس الاشرار الا ضحايا البشر وضحايا
نفوسهم لو كنت تعلمين . وهم أخلق بالرحمة من الاخيار
الصالحين . فلا تتحولي حية ولا تؤذي شريراً ، بل غادري
تلك اليد المسكينة واسقطي في طريق أب فقير صالح لتكوني
نصيب فتاة لم تلبس في حياتها حلية . زيني يداً شوّهت
خشونةً أخدمه جاهلها ونامي على زند الفتاة الغريبة بدلال
القبلة والتجيب ! نامي هناك واسمدي ، ولو ساعة ، قلباً بانساً
يحسب السعادة في الغنى !

نامي هناك وانسيني ، ولكن !

ان كان لديك ذا كرة تذكر ، يا ساعتى الصغيرة
المحبوبة ، اذكري لحظة ما شهدته معي من المسرات واللهفات
اذكري واحفظي ما تعرفين

ولكن ألسنت ابنة الزمان الذي ننسب اليه في ضعفنا
كل شيء ، وهو في قوته لا يبالي بشيء ؟ ترين بأبي حافظة

تذكرين ، وبأيّ ذهنٍ تتأملين ؟ انما علاماتك مدادٌ قد
 تحجر ، وعقربك اصبع يشير الى علامة يجهل منها المعنى ،
 وأنتِ آلهٌ ليس إلا - وان كنتِ آله الآلات المثلى
 أنتِ ابنةُ الزمانِ الناسي ،
 وانتِ مثله لا تذكرين !

الساعة

المفقودة

ياسيدة البحار!

ياسيرة
البحار

أسمعت ما طيرته عنك البروق وما قالته فيك الانباء؟
لوزيتانيا! أبلغك ما بلغنا وتعرفت ما يكتبون؟
قولي!

هل تمردت أرواح الكهرباء في الفضاء وثار
قوات العناصر في أعماق السماء، أم هجمت أسد البحر على
الاسلاك الممدودة تحت الماء، طالبة من معارف البشر لداء
خفي شافي الدواء؟

قولي! اسمعت بما أذاعته عنك الانباء؟
لوزيتانيا، أجيبي!

أنت التي خضعت لها رقاب الامواج أعواماً، ولثمت
المياه موطيء قدمها شهوراً وأياماً، أنت التي ذاب حر
أنفاسها جليد البحار القاصيات وابتسمت لقدمها شمس
السواحل الدانيات، أيتها الهازئة بهيجان العواصف، وثورات

اللجج وغضب البراكين ، يا صلة العمران النشيطة بين
العالمين !
ياسيرة
البحار

يقال انك غارقة يا ذات الدلال السائر، ويُداع انك
مندحرة يا قاهرة العنصر القاهر، أصحیح ما يقولون وما هم
مذيعون ؟ أتقمن صريعة نيران الجبار العنيد ؟ أتتضاءل
منك القوى ازاء بطشه فيذوبُ منك حتى صلب الحديد ؟
انت التي قطعت المسافات الشاسعات ببسالة باسمه
وملأت وحشة البحار الواسعات بزفرات الانسان واصواته ،
انت الآملة بكل شيء لانك يا ناسة من كل شيء ، أيتها
المرأة المتنمرة ، كيف لم تجيبي على صواعق الانسان
بصواعقك المنتقمة ؟

ألا تذكرين يوم غادرتِ العالم الجديد تحملين للجسام
طعاماً وتقلين للنفوس غذاءً ، وتمثال الحرية يحنيك بقبسه
المحيي ويتمنى لك سفرًا سعيداً ؟ يوم شيعتك أنظاراً وقلوب
وقد أودعتك أموالاً وأسراراً وأرواحاً غاليات ، ألا
تذكرين ؟ كيف لم تصوني وديعتك سائرة بها الى مرفأ

باسيرة البحار
الأمان سالمة؟ كيف لم تحرصي على ما ضمنتِ الى قلبك ،
ايها العاشقة الصامته؟

لوزيتانيا! لوزيتانيا!

لقد ذقتِ رعشة الموت ، يا ضحية الحياة! وعرفتِ
معنى الابدية ، يا أثر الفكر الزموني!

في احضان المياه الدامسة حيث لا شمس ولا كواكب
ولا اقمار ، حيث يتموج من العناصر الاسوداد
والاخضرار؛ حيث لا كلام سوى دممة العواصف الهائجة
على صفحة الماء ، ولا صوت غير صدى الصواعق المنبثقة من
جبين الافق لتخترق وجنة الفبراء؛ حيث تمر افكار البشر
على الاسلاك البحرية صامته؛ حيث لا انين ولا نواح ولا
انشاد؛ في احضان المياه الغدافية ، في الهاوية المرعبة هناك
تندثرين ، تندثرين في كهوف نبتون السائلة وفيها متلاشية
تقطنين . هناك تحتضنين وديمتك التي لم تستطيعي صيانتها
في الحياة ، فتكونين في الردى لها من الصائنين

هل من دمعَةٍ تصلُ اليكِ مخرقةً مياه البحار؟ هل
 من قبلةٍ تهبط نحوكِ مداعبةً ما لديكِ من الاسرار؟ لكن
 قد كفتكِ السكوت الدائم والجمود المتحرك الذي لا
 قبالات لديه ولا دعاية ولا عبرات

لوزيتانيا! لوزيتانيا!

سوف ينتقم لكِ البشر من البشر، سوف يقيم التاريخ
 لكِ ولاخواتك جميل الآثار، سوف تنظم لكِ الاناشيد
 ويمزف لذكرك طروب الآلات

وإذا سُئلتِ في أعماق الهاوية عن الانسان الذي
 أبدعك واستخدمك قولي انه ما زال كبير المطامع موفور
 الغرور، وأنه في غروره قد أحبك وبكاك. وإذا سألتك
 روح الهاوية مذهولة: إذا كيف فتك بك؟ اجيبي بما
 يقولونه في ربوعنا من ان الذي قضى عليك ليس التحالف
 الملقب بالانساني، بل المبطاش المنعوت بالجرماني...

(١٩١٦)

بكاء الطفل

سمعتُ الطفل يضحك فاختلجت روعي الاثيرية في
 جسدي الترابي . ان صوت هذا الرضيع ليرجع صدى
 أصوات الملائكة ، وضحكته البريئة المطربة لتحت المفكر
 على اكتناه الأسرار الأزلية الغامضة
 ثم سمعتُ الطفل يبكي فملع قلبي فرقا وشعرت بشيء
 كبير يذوب فيه . أوّاه من بكاء الاطفال ، انه اشدّ ايلاما
 من بكاء الرجال !
 سمعتُ الطفل يبكي ورأيت العبرات تتحدّر على
 وجنتيه الورديتين ، فكانت تلك اللآلئ الذائبة جمرات
 نارٍ تكويني
 ظلّ الطفل يبكي ودلائل العجز واليأس باديةً على
 محياه الوسيم . ظلّ يبكي بكاء متروكٍ منفردٍ لا يجبهُ في
 الدنيا أحد . الطفل الحبيب يبكي فكيف أعيدُ التآلق الى

بطء

الطفل

عينيه؟ كيف أسمع في ضحكته صدى أصوات الملائكة
مرة أخرى؟

فدنوت منه متوسلةً ،

بضمته اليّ بذراعي التي لم تضم يوماً أخاً او اختاً
صغيرة ، وأجلسته على ركبتي حيث لا يجلس سوى أطفال
الغرباء ، ورفعت عقارب شعره عن جبهته الطاهرة بيد
ترجف كأنما هي تلمس شيئاً مقدساً

... ثم وضعت على تلك الجبهة شفتي ساكبة في قبلة
كل ما يحوم في جنائي من شفقة وانعطاف . ترى من ذا
ينبئ الانعطاف والشفقة بمقدار ما يفعل الطفل الباكي؟
صمت الطفل حائرًا لأنه شعر بأن روحًا تناجي روحه .
صمت هنيهة ، ثم عاد فحدق في بعينين ملؤهما الحزن والتعنيف
معًا . أتعرفون كيف تحزن عيون الاطفال؟ أتعلمون كيف
تعنف أحداق الصغار؟ حدق في سائلًا عن أعز عزيز

لديه، وقال بصوتٍ هاديٍّ كاصوات الحكماء : ماما ، ماما !

صغيرك يناديك فلماذا لا تجيبين ، يا أم الصغير ؟
 لستِ بالعليلة لاني رأيتك منذ حين تمسين بقدركِ تحت
 برنيطتك ، والجواهر تطوقُ العنق منك . أنت صحيحة
 الجسم ، فلماذا لا تُسرعين ؟ ألا تحرقكِ دموع الطفل الذي
 لا ترين ؟ ألا يوجعك الشهيق الذي لا تسمعين ؟
 عودي من نزهاتك الطويلة ، وزياراتك العديدة ،
 وأحاديثك السخيفة ، عودي واركعي امام الصغير
 واستمعيه عفوًّا

لقد خلقتِ امرأةً قبل ان تكوني حسناء ، وكيفتكِ
 الطبيعةُ أمًّا قبل ان يجعلك الاجتماع زائرة

تمالي اسجدي امام السرير ، سرير الصغير !
 اسجدي امام هذا المهد الذي لعبتِ بين ستائرهِ طفلةً ،
 وحملتِ به فتاةً ، وانتظرته زوجةً ، فما خجلت ان تهلميه
 أمًّا . اسجدي امام المهدِ فان المهدَ محبتك القصوى !

بطا
الطفل

اسجدي امام السرير ، ولا تدعي ربّ السرير يبكي
 لئلاّ تملأ قلبه مرارة الوحدة ، حتى اذا ما شبّ رجلاً
 تحوّلت المرارة كرهاً وصرامةً

اسجدي امام السرير ونانغي الصغير ! ان دموع
 الاطفال لأشدّ ايلاماً من دموع الرجال

دمعة على المغرد الصامت

ما أسرع ما تتمزق أبواب الورود، وما اتس القلوب
 دمعة
 الشديدة التأثير!
 على
 يمرُّ النسيم العليل على الأزهار النضرة فتتشقق بوطئه
 المغرد
 جلايبها وتنتشر وريقاتها . كذلك تكفي ملامسة اللم للنفس
 الصامت
 المنفردة ليثير منها الاشجان ويستقطر من محاجرها العبرات
 من الرجال من يكتفون بالمجد والوجاهة والفخر ، ومن
 النساء من لا يفهمن الحياة الا بالزينة والغنى وارتفاع القدر
 اما انا فلا هذه العطايا تغرني ولا تلك المواهب
 تستهويني . شيء واحد تام الجمال في تقديري وهو ما يشترك
 في تركيبه قسم كبير من الفكر وقسم اكبر من القلب .
 شيء واحد ينبه عجباني وهو ما كان مترفعا عن الصغار
 والدنايا - هو زهرة نادرة المثال شمس الذكاء والمعرفة تحييها
 ومياه العواطف العذبة ترونها

ما أتعس القلب الحساس وما أئينه لاستحكام الجراح
في ثنياته !

طائر صغير نسجت أشعة الشمس ذهب جناحيه
وانحنى الليل عليه فترك من سواده قبلة في عينيه. ثم سطت
عليه يد البشر فضيقت دائرة فضائه وسجنته في قفص كان
عشه في حياته ونعشه في مماته

الصامت

طائر صغير احببته شهوراً طوالاً . غرّد لكأبتي
فأطربها ، ناجى وحشتي فأنسها ، غنى لقلبي فأرقصه ، ونام
وحدتي ففلاها الحاناً

امتزج ذكره بجيأتي فخلّ عندي محلّ صديق لا تصلني
به اللغة ولا يقربه مني التفام الروحي ، بل يعزّزه اليّ
حضوره الدائم وان لم يبال هو بحضوري ، وصوته الرخيم
وان لم يغرّد الا لأن التفريد من طبعه ، وسروره الذي
لا يعرف الكتابة ، واصطباره على ضيق الفضاء وقناعتة بما
قدّر له من النور والهواء

دمع
 علي
 المفرد
 الصامت

لَمَّا ابكتني الآلام أريته منديلي مبللاً بالدموع فأعرض
 عني . انما تستدرُّ الدموعُ ظلمةُ الاحزان كما يستدرُّ الندى
 ظلامُ الليل ، وروح الاطيار شعاع مغرَّدٌ فكيف يفهم
 النور الظلام ؟

ثم اشرت بيدي الى الاثير البعيد لعلني ارى من طائري
 زفرةً تنبئني عن لوعة في قلبه . ولكنه اخذ يتنقل على قضبان
 قفصه غير مبالٍ بي ، كمن يقول : « النورُ لا ينظر الى
 الشمس والقلب لا يحدِّق في الروح لان كليهما واحد . انا
 لا انظر الى الاثير لأن في نقطة منه . اني فيه وان بعدت
 عنه . كالشاعر الذي يظلُّ محلقاً في سماء الخيال والمعاني وان
 وثق الناس من انه يجالسهم مصغياً الى احاديثهم »

واذ اتيتهُ بالازهار نازعةً عنها وريقاتها فارشةً بها مهبط
 القفص لعلني ارضيه ، شرع يدوسها استخفافاً متابعاً تقريده .
 كأنه فيلسوف لا يكثرث للصغائر وان جملت منها المظاهر ،
 ولا يهتمُّ الا بما ينبه قوى البحث والتفكير في جنانه
 في الصباح كنت افتح عيني فيستقبلُ استيقاظي بالغناء

وتسيل موسيقى انغامه على قلبي فتذيبه وتسكره معاً
 وفي النهار كنت اجلس للدرس والتجوير فتشمئز
 نفسي احياناً من عبوس الكتب ، ويثقل يراعي في يدي
 كأنه صولجان تنازل عن ملكه ؛ فيأخذ كناري في الزقزقة
 والتغريد ، وتأتي جماعة طير من الخارج فتوحّد التغايريد
 عند نافذتي كما تمزج الالحان في قلب الامواج . اذذاك
 تبدم الافكار على صفحات الكتب امام ناظري ، ويميل
 قلبي تمايل الصفصاف قرب الغدير ، وتنجلي الغيوم عن
 صفحة نفسي وتطرب روحي

وفي المساء كان الكنار يصمتُ إجلالاً لقداسة الظلام
 فيخفي رأسه بين جناحيه ، ويجمد جمود المفكر . ساعثئذ
 تأتي بنات خيالي محلولة الشعر وورد الابتسام منور على
 شفيتها ومصباح الشعر منقذ في يمينها . فتعقد حلقة وتدور
 راقصة حول احلامي ومنشدة اناشيدها بألحان سرية كأعماق
 اللجج - اناشيد عجيبة لم يسمعها الا خيال روحي المتهادي
 بين اولئك العذارى الراقصات . ولم افهمها الا بحاسة

دمعة
 علي
 المفرد
 الصامت

مدادسة تنبثق في قلب الشاعر في ساعات الوحدة والكتابة .
 يدنا ملوك الجوزاء تطلُّ من اعالي علاها ناظرة الي من
 نافذتي المفتوحة على آفاق الليل ، والكنار يرقبني بعينيه
 الخفيتين تحت جناحيه الذهبيين

* * *

دمعة
 علي
 المفرد
 الصامت

والآن . انظر الى القفص !
 لقد صمت الطائر المغني ، وجمد الشعاع المحيي ، فلا
 ترى في القفص الا قليلاً من الشمس المائتة !
 مات الصغير الغريد ، مات صغير حشاشتي !
 مات عند بزوغ الفجر وقبل انقضاء الربيع ، ولا
 يبقى في خاطري الا اثرٌ من ذلك اللحن المتواضع البديع
 شعاعٌ ذهبيٌ اطلَّ حيناً واختفى في كبد الآفاق ،
 ابتسامةٌ لطفٍ اشرفت ، وما لبثت ان توارت في
 أخفية الظلام ،

نورٌ فكّرٍ ضاء ثم اضمحلّ في لجج العدم ،
 وردةٌ اثيرٍ تنفست فعطرت واسكرت . ثم ذبلت ،

نعمه حبة تموجت ساعة ، ثم تلاشت في هاوية
السكينة ،

صديق صغير غرد فأطربني ، وسكن في جوارى
فأنسى ، ولما مزق قلمي العالم بشره وصغاره غنى طائري
فأنساني قبح القباحة وجعلني أفكر في كل حسن بهي
هذه قيثارتى فقدت أحد أوتارها فناحت بلابل
انعامها ،

فما اتعس القلوب الشديدة التأثير ! وما امر الجرح
الصغير الذي يفتح جراحات كبريات !

سر الوجود وسر الفناء من يستطيع اكتناهما ؟
في كل ذرة من ذرات الكون ظمأ لارتواء خمرة الحياة
وشوق مبرح للنمو وبلوغ اكمل الحالات الممكنة . فإغاية
هذا الشوق ، ولماذا وجد ذلك الظمأ ، اذا كان الفناء كعبة
الكمال ونهايته ؟

أتلاشى ما كان في طائري من أنس وائناس ؟ أضاعت

ومع:

نفسه الصغيرة الحلوة في الاثير كما امتزجت تغاريدهُ بامواج

على

الهواء وعناصر جسمه بالتراب والماء؟ أم هو يحفظُ جوهر

المفرد

ذاتيته ويظلُّ هو هو في مجاهل الفضاء؟

الضامات

على مَ وُجد ولماذا قضى؟

ألهذا الفناء ترتقي نوعه حتى صار طائرًا غريبًا؟ أعاش

يومًا وكان من نصيبي لكي يطربني ثم يوحشني ، يزيل كآبة

نفسي حينًا ثم يتركني حائرة في أمره وامري؟

اين الحكيم يكشف لنا هذه السرائر وينريح الستار

عما في الحياة من الغوامض؟

وانتم أيها الموتى ، اطيّاراً كنتم ام بشراً ، ألا تنطقون

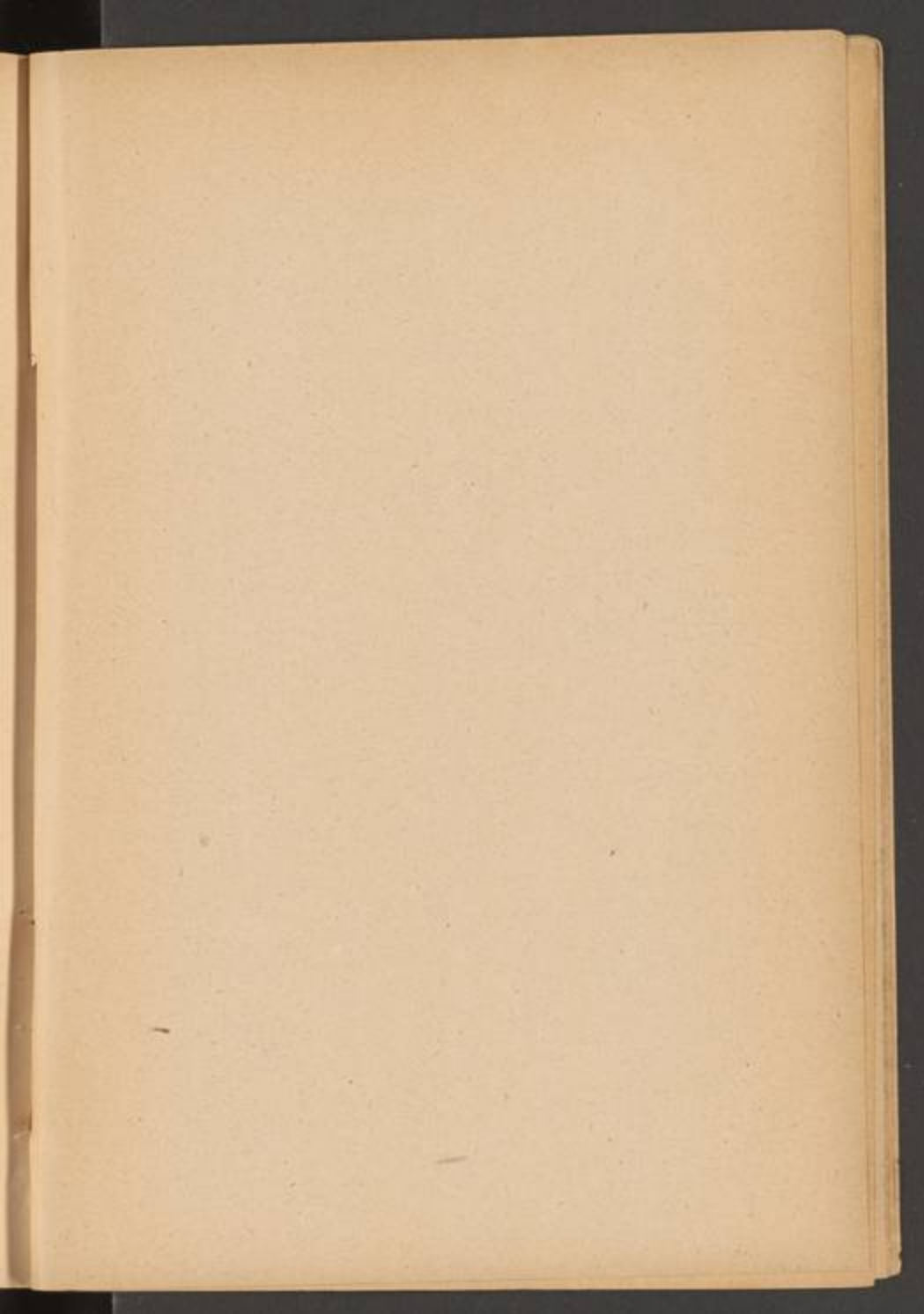
مرة واحدة لكي تفضوا الينا بما طوي من الاسرار وراء

حُجُبِ الردى؟ ألا تهمسون في نفوسنا بالكلمة الاولى من

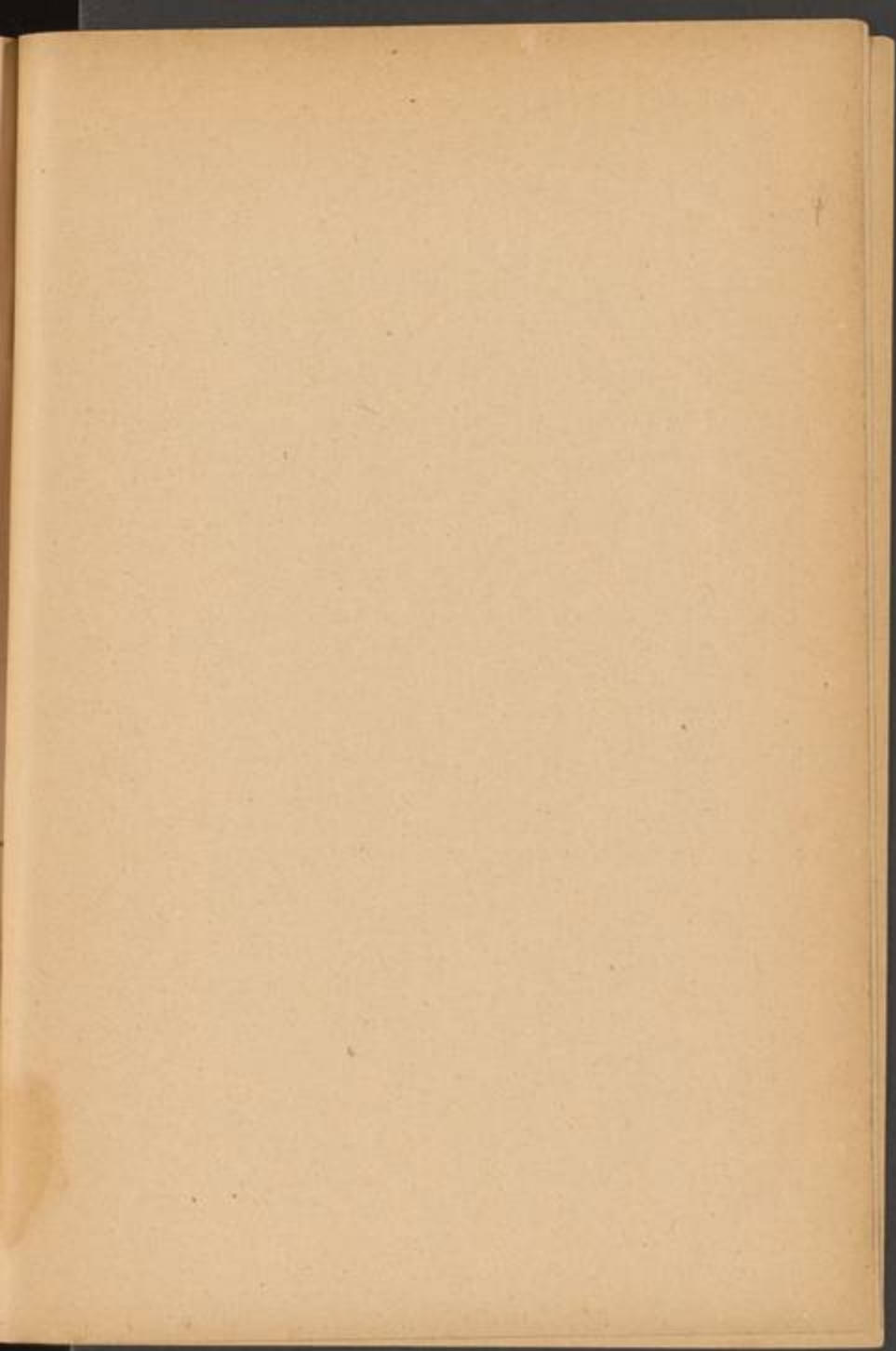
اللغز الازلي السرمدى الكامن في ضمير الوجود؟

الكتاب الثاني

نحو مرقص الحياة



... ولما انتهى دور الوقوف في السكوة وجدته بين
الجمهير ووجهي مرقس الحياة • جاهلة من ذا يسبرني
واياهم وبأي دافع هم يسرون • فتناولني حيناً دوار
الاختلاط بالجمع الكبير • الا ان الشخصية العامة لم تستول
عليّ فتفرق في قدرتها عجزني • بل بقيت انا تلك الصغيرة
الضعيفة الخائرة وسط المضلات والزوايا • ولم يفتأ ذلك
الوحي العذب يهمس فيّ سوره • وذلك الاحتياج المتوهج
يضمم فيّ ناره • ففهمت أمراً آخر وهو انه حيث تكون
المأطفة متيقظة مرهفة فهناك النزاع الاليم والاستشهاد +
واذا رافقتها الأنفة وشرف السكوت على مضض الحروق
والسكروب فهناك مأساة الصلب تتجدد مع الايام ...



نحو مرقص الحياة

نحو مرقص الحياة
 في ليلٍ مسترخي السدولِ سرتُ على شطِّ بحرِ الايام
 مع السائرين . سرتُ نحو مرقص الحياة في ليلةٍ غار نجمها
 وادلهمَ ديجورُها ؛ على شطِّ بحرِ الايام سرتُ مع السائرين
 بين ما طمستهُ عصورٌ وخلفتهُ عصورٌ وشادتهُ عصورٌ ،
 على شطِّ بحرِ الايام سرتُ اتمسَّ سبيلاً قريب المنفذِ
 نظيفاً أنيقاً ، لثلاثِ تاطخِ الاوحالِ نعلي الاعريقي الأبيض
 وتمزقِ السمومِ وريقاتِ زهرةِ رأسي ، زهرة الياسمين التي
 زنتُ بها رأسي

أنوارُ المرقص هناك عيونٌ تناديني ، وفي كلِّ من قدمي
 جناحانِ يحمئاني على الرقص قبل الوصول . يا لطول الطريق
 المتشعبة في الدجى ، يا لطول الطريق ويا لهول الطريق !
 ترى أليس من هادٍ يهديني بين جواهر السائرين ؟

نحو
مرقص
الحياة

جاءني خيالٌ سائلاً وفي صوته لهجةُ المتأدّب — الي
أين تقصدين؟

قلتُ — أرايت القصر العظيم الذي تتهمسُ في
صدره أسرارُ الأبحاث ، ونوافذهُ أحاط أنوارُ تناديني ،
أرايت القصر العظيم ؟ إنما أقصدُ لأنه مرقص الحياة
قال — وما عملي إلا قيادة الناس إلى المرقص ، قيادة
من شاء من السائرين

قلت مبتهجة — أصحیحُ ما انتَ قائلٌ ؟ ومن انت
اذن لتفعل ما انت فاعلٌ ؟

قال يقدم نفسه — انا الغريب . انا الغريباء . انا
التاجر والطبيب والمهندس والمحامي والنائب والحاكم .
انا العامل والخدم ، والباني والهادم ، وأنا المتهم والقاضي .
أتعاطى جميع الحرف ، واعمل للناس وهم لي يعملون .
اخدمهم في بابي ليكون كلُّ منهم لي في بابه خادماً . اقدم
لهم ما لا يحصلون عليه بدوني ، واعقد فيما بينهم بروابط
لولاها ما تبودلت فائدة ولا اشترك في منفعة . انا الغريب

الذي تجعله المصلحة قريباً لكل غريب
 قلت - عرفتك ياسيدي . هذا سواري أعطيكه ،
 فقدني نحو مرقص الحياة

في مركبة الغريب سرتُ مسافةً طويلة . قطعنا جبلاً
 وأوديةً لم أرَ منها الصعاب ولم تتعثر قدي فيها بالصخور .
 وإذ وصلنا سلسلة الاطواد المتساندات في حدود الأفق
 ودعني الغريب لأن مركبته لا تستطيعُ المسير ، ودعني
 الغريب ومضى

دارُ المرقص اقتربتُ منها قليلاً ولكن بيني وبينها
 سلسلة الاطواد المتساندات . رأيتُني وحدي . فلذعني البرد ،
 وهددتني دياجير الآفاق ، وشاكتني امثياء لم ألمسها بيدي .
 واذا بخيالٍ يقتربُ متعمداً ، ماشاتي . فوقفتُ واجفة
 وسألت - من انت الذي تعترضني في طريقي ؟
 أجاب وفي صوته شرٌّ واستهزاء مهين - من أنا ؟ أنا

نحو
مرفوض
الحياة

الدياجير المهددة ، وانا الاشياء الشائكة في الظلام . انا النميمة
والاغتياب والوقاحة والشراسة والامتهان . انا الشفة التي
تبتسم هازئة لأن وراءها انياباً تنهش نهشاً . انا اليد التي
تضرب لتثار بلا ثأر ، انا القلب الذي يكظم الحقد والضعينة
بسبب وبلا سبب . انا الكيد والغيرة والخبث والحسد ،
وانا الذم القبيح المحتجب ، وراء شهد التمليق وتكلف السكوت .
انا العدو . انا الاعداء

قلتُ مرتعشة — لملك تعني سواي بهذا الكلام .
انا لا اكرهُ احداً ، ولا أحقدُ على احدٍ ، ولا اعداء لي .
واذا صدرمني أذى فاما عن سهوٍ واما عن سوء تفاهم ، وانا
اول من يتألم له بعد حدوده

اجاب وقد تضحمت معاني البغض في صوته — بل
ايالك اعني ، انا عدوك انتِ ولا استطيع ان اكون لكِ إلا
ذلك . عبثاً تتحاشين طريقي ، وعبثاً تتبعين سبيل الحذر
والتحفظ . سوف أوذيك بأصغر الاسلحة ، وافرها اقتداراً
واحدها مضاءً ، وابعدها عن منطقة العقوبة : اللسان

ويننا كلماته تنقضُ عليَّ كالصواعق ، توارى عني
 ففطنت لِنفسي . ففطنت لِنفسي فوجدتني اقطع تقفاً
 ضاق منه الجوُّ وثقل فيه ضغطُ الهواء ، حتى خلته قبراً
 ملأته عقارب توجعني ، وحيات تلسعني وألسنة لهيبٍ
 تكويني . سرتُ هائمةً والمعبرات متحجرات في اقاصي
 قلبي . ولما ان عثرتُ على منفذٍ اخرجني من النفق
 الرهيب وجدتُ تحمسي يأساً والاجنحة في قديمي
 اغلالاً . خلفتُ سلسلة الاطواد المتساندات ولم يبق
 يدني وبين المرقص إلاّ منبسطات السهول . عندئذ بكيت
 ثم مسحت دموعي المتساقطات لأفسح مجالاً لدموع
 جديدات . ثم قلت : ترى لاي شيء يوجد في الوجود
 شيء ؟

بلطف النسيم امتدَّت اليديَّ الي . يدٌ ترسلُ اناملها
 نوراً ، وتبعث من حركتها حرارةً تدفئ روجي . ولما ان
 اجفلتُ قال صاحب اليد - هات يدك

نحو
مرقص
الحياة

فنظرتُ الى الخيال قائلة - كفاني ما لقيتُ من
اخيالات في طريقي . اني لا اطلب مساعدة احدٍ وقد
عدلتُ عن الذهاب الى المرقص ، فدعني وحيدة في كآبتي
دعني في سآمتي وبأسي وحيدة

قال - لا استطيع ان ادعك هنا، ولا انت تستطيعين
إلا قبول مساعدتي

قلت - كيف ذلك؟ ومن انت؟

قال وكان ابتسامات الملائكة قد تجمعت في صوته
اخلاصاً وحلاوة - انا الصديق . انا ذلك الذي يشعرُ ويدرك
ويفهم ويعلم . انا ذلك الذي يعلم . انا التعزية وموضع الثقة
والامان . انا الصديق

قلت - لا ثقة لي بأحد . وانا لا اعرفك ولا اريد
ان اعرفك

قال - ارادتك وعكسها عندي سيان . هذه السهول
لا يعرف خفاياها غيري . طريقك فيها وليس لك من دليل
غيري . وعندك رسالةٌ وقد جئتُ مرغماً لا بلغها اليك

قلت — ممّن هذه الرسالة وما هو مضمونها؟
 قال — لا ادري . لقد دفعتها اليّ يدُ الخفاء ، وحجمها
 في نفسي يدلّني على انها ليست لي . ثم زاد وفي صوته الحاحٌ
 وكآبة : خذنها هي لك ! وستعلمين سرها ساعة تأخذينها
 وتناوليني رسالة اخرى لي عندك . كذلك قال الصوت
 المجهول الذي بعث بي الى هذا المكان . خذي ما لك
 واعطيني ما لي !

الى بحر الايام حولتُ نظري طالبة ارشاداً . الا ان
 صوت الامواج متشابه لمن لا يسأل ولكن في أنة الامواج
 لكلّ سائلٍ جواباً . فارتفع الجبابُ قليلاً قليلاً ونق
 لي الامثلة بحروفٍ فضية : « يقسم المرء الناس الى غريب
 وعدوّ وصديق . فذاك يبتغي الدرهم متاجراً متأدّباً ، والآخر
 لا يظهر الا معانداً معذباً منتقماً وهذا يتكلم باسمًا ودوداً
 فينطلقُ صوتهُ وبسمته الى سويداوات القلوب . ويستقرُّ
 صوتهُ وبسمته في سويداوات القلوب . وما كان كلُّ من

نحو
مرفص
الحياة

هؤلاء الأُمُودُ بآمرِ شِدَاءٍ إلى سبيل الحياة، وما كان كلُّ الأُمُودِ
استاذاً يُدرِّسُ عليه ما لا يُعلمُ من سواه، لانه يُحملُ في يده
رسالةً خفيةً قد أوْتَمَنَ عليها من آلهة الغيب والاسرار»

نحو
مرفص
الحياة

على شط بجر الايام سرتُ مع السائرين . ومن منهل
الغبطة المتدفق في سكبتُ تعزيةً ومن الشمس المنيرة في
جناني وزعتُ انواراً على الذين معي من السائرين . وزعت
من شمس جناني أنواراً ومن منهل غبطتي تعزيةً على
المحزونين من السائرين

الذكرى الجديدة

أصبحتُ اليوم وبين يديّ ذكرى جديدة حارة الذكرى
تتضورُ وتناوهُ وتتلوّى كالنفس المترددة بين البقاء والانتحار. الجريدة
وأخذتني منها شفقةٌ حملتها برأفةٍ الى معبد الادّكار القائم
في أعماق روحي

عبرتُ العتبة متأنية والتهيب يلاشي وقع خطواتي ،
وجثوتُ بين تذكارات متبحّرات في شفق التأمل العميق
حيث لكلّ ميتٍ مضي اسمٌ ولكلّ حدثٍ انقضى
رسمٌ. فتقلّصتِ التذكاراتُ من ذواتهن الهيوالية وحنين
عليّ هامسات وقلن « نحن فيكِ وأنتِ فينا »

فردّدت همسهن وقلت « انا فيكنّ وأنتنّ فيّ »
ونهضت بالذكرى الجديدة أعينُ لها مستقرّاً فاستوت
على متوسط المذبح - وأخذت أنسّق امامها طاقات الازهار ،
وانثر على جوانبها فرائد العطر والندى، واوقد حولها الشموع

الذكرى
الجريفة

والمصاييح وأذكي نار المجامر بالمر واللبان ، ثم وقفت أرقبها
بانسراح اذ رأيت الهدوء يباغت اضطرابها وتوجعها
وفي النهاية مشيت متراجعة الى المدخل . وبعد نظرة
الوداع غادرت معبد الادكار وبني ارتياح من أدى واجبا
عزيزاً ونفر من أتى أمراً عظيماً

* * *

الذكرى
الجريفة

والآن ستسارع الشهور حتى تنتظم أعواماً ، وتتساند
الاعوام حتى تترتب عقوداً ، ويتقاذفني موج العمر فلا أعني
يوماً إلا وأثر ذكراي الخفي يبدو في جميع أعمالي
فاذا تكلمت واتخذ صوتي قراراً بعيداً كان متكلماً
فيه صوت ذكراي

واذا أخرجني موقف فأحجمت ، فهمت فأقدمت ،
فتجاوزته الى غيره كان الفضل لأمثولة ألقها علي
ذكراي

واذا سرت أحياناً بخطوات يخلن لثريتهن مفكرات
بأرض يطوينها - كان ذلك التباطؤ هوئى من أهواء ذكراي

وإذا استفزني التحمُّسُ لمظلومٍ واستبسلت في الدفاعِ
 عن ذي حقٍّ فما ذلك إلا مكافئة لطغيانِ استدرِّ الدموعِ
 الجريبةِ والدماءِ من قلبِ ذكراي

وإذا شعرت يوماً بزهريرِ البحارِ المتجلِّدةِ يجاورُ في
 كياني تأجُّجَ الرمضاءِ المستمرةِ، وتلاطمَ بينِ جوانحي هبوبُ
 الصرصرِ بلوافحِ السمومِ فما ذلك سوى ثورةٍ جديدةٍ
 تقومُ بها عناصرُ ذكراي

وإذا شمتُ خيراتِ العالمِ فقراً وازدحامِ العالمِ فقراً
 فلأنَّ لا ائتناسَ ولا غنى في غيرِ عالمٍ تبدهُ ذكراي
 وإذا رأيتُ جليسي وناظرِي يخرقانه إلى أبعادِ
 شاسعاتِ فلأني ألمحُ بينِ طبقاتِ السحبِ خيالاً من ذوي
 القربى لذكراي

وإذا نما حبي بفتةٍ واحتوى الموجوداتِ بقوةٍ كأنَّ
 الروحَ الكليَّةَ اتخذتهُ لحظةً رسولَ عطفها على الخلاقِ
 فما ذلك إلا اختارَ فطيرَ ذكراي

الذكرى
الجديرة
وعندما أعودُ الى منشأ الكائنات ومرجعها وأرقد
بين جلال المدافن في قبري الضيق حيث تنقلبُ صورتي
البشرية تراباً، فهباءً، وينحلُّ ما ارتبط من اسمي الصغير فلا
تمثلُ الميم منهُ والياءُ سوى حرفين من حروف الأيضية
حسبُ، يومذاك سيكون التماسكُ والحياةُ نصيب
ذكري

وبعدئذٍ ستمرُّ الذراري الجديدة وتحلُّ محلَّها الذراري
اللاحقات . فتجلس فتاةٌ في صباح خريف شجيّ كهذا
الصباح على مقربة من نافذتها وراء الاستار المخرمة
وترسلُ نظرها الى الافق الذابل يتفتنُها سحرُ الطبيعة
ساكباً أنوار الفجر في نقيّ السحاب . وتسأل نفسها « أن
السعادة؟ » فتتملكها رغبة فجائية في ركوب تلك السحابة
ذات الشكل الطودي واثمة من أن السعادة كآها في اعتلاء
متن النور والهواء

فتاة المستقبل سترجع بعد حين وتضحكُ من رغبتها
قائلة « ان هذا جنونٌ ! »

أما أنا ابنة الخاضر فاعلم منذ الساعة أن تلك الرغبة الذكرى
في النفس الصغيرة المجهولة سوف يثيرها عمل الذكرى التي
أدخلتها معبد الادكار ووضعتها على المذبح حارة تنضور
وتأوه وتتلوى كالنفس الحائرة بين البقاء والانتحار

العيون

العيون
تلك الاحداق القائمة في الوجوه كتعاويد من حلك
ولجين

تلك المياه الجائلة بين الاشفار والاهداب كبحيرات
تنطقن بالشواطي، وأشجار الحور
العيون، ألا تدهشك العيون؟
العيون الرمادية بأحلامها
والعيون الزرقاء بتنوعها
والعيون العسلية بحلاوتها
والعيون البنية بجاذبيتها
والعيون القائمة بما يتناوبها من قوة وعدوية

جميع العيون
تلك التي تذكرك بصفاء السماء

العيون

وتلك التي يركدُ فيها عمقُ اليوم
وتلك التي تريكُ مفاوز الصحراء وسرايها
وتلك التي تعرجُ بخيالك في ملكوت أثيري كلهُ بهاء
وتلك التي تمرُّ فيها سحائب مبرقة مهضبة
وتلك التي لا يتحوّل عنها بصرك إلا ليبحث عن
شامة في الوجنة

العيون الضيقة المستديرة، والعيون اللوزية المستطيلة
وتلك الغائرة في محاجرها لشدة ما تتمعنُ وتقبصر
وتلك الرحيبة الواحظ البطيئة الحركات
وتلك التي تطفو عليها الاجفانُ العليا بهدوء كما ترفرفُ
أسراب الطيور البيضاء على بحيرات الشمال
وتلك الاخرى ذات اللهب الاخضر التي تلوي شعاعها
كمقافة كلابٍ على القلب فتحتجنهُ؛ وغيرها، وغيرها،
وغیرها

العيون التي تشمر

والعيون التي تفكر

العيون

والعيون التي تتمتع
والعيون التي تترنم
وتلك التي عسكرت فيها الاحقاد والحفاظ
وتلك التي غزرت في شعابها الاسرار

العيون

جميع العيون وجميع أسرار العيون
تلك التي يظل فيها الوحي طلعة خباة
وتلك التي تكاثفت عليها أغشية الخمول
وتلك التي يتسع سوادها أمام من تحب وينكشف لدى
من تكره

وتلك التي لا تفتأ سائلة « من أنت ؟ » وكلما أجبته
زادت استفهاماً

وتلك التي تقرر بلحظة « أنت عبدي ! »
وتلك التي تصرخ « بي احتياج إلى الألم أليس بين
الناس من يتقن تعذيبي »
وتلك التي تقول « بي حاجة إلى الاستبداد فأين ضحيتي »

العيون

وتلك التي تبسّمُ وتتوسّلُ
وتلك التي يشخص فيها أنجذابُ الصلاةِ وانخطافِ
المصلّي
وتلك التي تظلُّ مستطلعةً خفاياك وهي تقول « ألا
تعرفني ؟ »

وتلك التي يتعاقبُ في مياها كلُّ استخبارٍ ، وكلُّ
انجذابٍ ، وكلُّ نفيٍ ، وكلُّ اثباتٍ
العيون ، جميع العيون ، ألا تدهشك العيون ؟

العيون

وأنتَ ما لون عينيك ، وما معناهما ، والى أيِّ نقطة
بين المرئيات أو وراءها ترميان ؟
فمُ الى مرآتك !
وانظر الى طلسميك السحريّين ، هل درستهما قبل
اليوم ؟

تفرّس في عمق أعماقهما تتبيّن الذات العليمة التي ترصدُ
حركات الأنام وتسايّر دورة الأفلاك والأزمنة

في عمق أعماقهما ترى كل مشهد ، وكل وجه ، وكل

العيون

شيء

وإذا شئت أن تعرفني ، أنا المجهولة ، تفرّس في

حدقتيك يبدني نظرك في نظرك على رغم منك

الحكيم وطالب الحكمة

كان يتكلم والطلبة حوله ينصتون

كان يتكلم عن ذلك الاتجاه الفكري في القرن

الحكيم
وطالب
الحكمة

التاسع للهجرة ، وقد دعاهُ العرب « فلسفة طبيعية »

فلستطرد الحكم قائلًا - « وُسِّمِي هذا الاتجاه أيضاً

فلسفة على الاطلاق من حيث أنه مقابل لفلسفة المتكلمين

أو الفلسفة الكلامية

« وكان الضب أهم مباحث تلك الفلسفة المشار الى

المشتغل بها بالمزج المعتاد بين لفظي حكيم وطبيب

« واستمرت تلك الابحاث الى القرن العاشر ،

« فكان أشهر القائلين بها الطبيب الرازي (المتوفى عام

٩٢٣ أو ٩٢٢)

« عديدة هي الكتب المنسوبة الى الرازي . وأكثرها

الحكيم
وطالب
الحكيم

رسالات وجيزة . وقد نشئت جزءاً يذكر منها في مكاتب
مختلفة

« ومن تلك المؤلفات كتاب في الكيمياء القديمة
أهداهُ لرازي الى أمير خراسان ، منصور بن اسحق
الساماني

« ولما عجز الرازي عن أن يبرهن عملياً عما أثبتته في
كتابه مبدئياً ،

« ضربهُ الأمير على وجهه ضربةً أزالَتْ بصرهُ . . .
انظروا الى هذا التوحش ! »

أحد الطلبة — « فمن الأمير ذلك لأن الاعتقاد
بفعل الكيمياء القديمة ضربٌ من الاوهام . وملاحقة
الاهوام توجب الردع . فعمل أمير خراسان لم يكن اذاً
توحشاً بل عقاباً عادلاً »

الحكيم (بعد سكوتٍ قصير) — « اذن أنتَ
ترى ان هذا الرجل استحق فقد عينه لانه كان يلاحق
مادعيتهُ أوهاماً ؟ »

الطالب - « نعم »

الحكيم (بعد سكوتٍ آخر) - « اذا كانت ملاحقة

الاهام والاعتقادُ بها تستوجب عقوبة العمى فمن

ذا مناً يا ترى ، من ذا من البشر يا ترى يستحق أن

يكون بصيراً ؟ »

الحكيم

وطالب

الحكيم

ليلة عيد النصر

علملان اثنان يتجاذبان الجنان : عاملُ الحزن وعاملُ
 السرور . على أن قطرة حزنٍ في عمقها توازي بحر سرور
 في اتساعه ...

ليمة
 غير
 النصر

صوتان اثنان يناديان المرة من سحيق أقطاب الحياة :
 صوتُ السعادة وصوت الشقاء . فينطلق يعدو والسعادة
 وجهته . على أن صخور الوعر تهشمُ قدميه ، وأشواك القتاد
 تدمي يديه ، وتأوّه الشكل والوداع يفطر لَبّه ، وتجهدهُ
 المسؤولية في معترك الاعمال ، فينسى السعادة بين الشفقة
 والنضال لأن الشقاء حقيقة والسعادة خيال ...

علملان اثنان يتجاذبان الجنان : الحزن والسرور . على
 أن قطرة حزنٍ في عمقها توازي في اتساعه بحر سرور ...

من لا يذكر ذلك النهار والليلة التي تبعته ، يوم قامت
 دول الحلفاء تذيبُ بشائر النصر بدويّ مدفعٍ طالما هدر لدى

الكريمة مجاهراً باستصغار الحياة واكبار المفاداة ؟ من
 لا يذكر مهرجاناً انتشرت بهجته على ضواحي العاصمة وتقاسم
 افراحه صاحب الكفّ الندي الذي أجزل للمعدم العطاء
 وصاحب اليد الفارغة التي أثقلها كياسُ الطعام والحلوى ؟
 إلا أن نور النهار باهتٌ لزخرف الاعياد ولا تمّ
 الحفلات وتسطع الزينات إلا تحت رواق الظلام الغدافي
 وانت ، أيها الظلام ، أمينٌ على مواعيدك دقيق في الوفاء
 بها . ما شرعت الشمسُ مرةً في الافول إلا دنوت أنت
 متلهساً متمهلاً ، كأنك ذلك المحب المحبوب الذي ينفت
 في روع الفه الكلمة المنتظرة طويلاً قبل ان ينبس بها ،
 ويقولها بأساليب شتى قبل انتهاج الاسلوب الاوحد
 واليوم ، لدن حلولاك ، تتكيفُ غيومُ المغرب متلونات
 وتترجرجُ خلالها الانجم الزاهرات ، كأنّ هذه وتلك أوسمة
 العز وأشرطة الفخار على صدور الابطال
 واقواس النصر هيفاء تحت بنود ألوية تعاقدن
 عليها ، والانوار تتغامز متفاهات عن بعدٍ كأرواح الاحباب .

ليلة
 عبر
 النصر

وأجواق الموسيقى تنبثق من جميع الشوارع والزوايا،
والجيوش تجوب الأحياء بطبولها دون أن يُعلم من أين
تجيء، وأنى تغدو

ليلة
عبر
النصر

ولأسراب الطيَّارات عزيْفٌ إذ تحلَّقُ في السماوات
العلی باعثاتٍ من جوانبها إلى الأرض بذبول الضياء ،
مرصعاتٍ هواءَ الشفقِ بيسمةِ نجومٍ البرايا لنجومِ الباري
هوذا مأمَّحٌ على الآفاق لألاءِ المواسمِ والاعياد . ومن
أحشاء المدينة يصعد هزج النشوة والظفر . كلُّ شيءٍ
يلمعُ ويموج ويهتف ويتلظى . وقد سرت إلى عسوى
الطرب فيها أنا أعتلي سطوح الحمى لأشرف على فرح
الفارحين وأنال منه نصيبي

ولكن . . .

عاملان اثنان يتجاذبان الجنان : الحزن والسرور . على
أن قطرة حزنٍ في عمقها توازي في اتساعها بحر سرور

اذ يننا الانسان يبتهجُ حاسباً ان انظمة الاجتماع
 تد انحلت ونواميس الطبيعة توقفت حتى اقتضاء سروره ،
 اذا بالنواميس والانظمة نافذة في أدق مغازيها

... وفي وسط الهتاف المنسجم تعالت نغمة شاذة
 وقفت عند الزاوية المشرفة على الديار المجاورة أبحث
 عن مصدر الاجيج وما لبثت ان عثرت عليه في فاجعة من
 فواجع البؤس العديدة ، تلك التي تذوب حياها لفائف
 القلوب

هاك أربعة رجال على أحد السطوح المحاذية ، يعالجون
 أمتعة أخرجت من غرفة صغيرة ويزجرون امرأة بينهم
 تتوسل وتنتحب. مسكينة أحدودب ظهرها، وقبحت هيئتها،
 ونثر شتاء العمر على هامتها ثلج الشيخوخة. لقد مرت شهور
 خمسة ولم تؤدِّ بدل الايجار فتسلح المالك القوي بالقانون
 وحجز متاعها ليبيع بالمزاد. وأما هي فتطرد طرداً من الغرفة
 الصغيرة القائمة في طرف السطح ، وتطرد من المنزل الى
 تحت قبة السماء

ليلة
غير
النصر

الجمهير السعيدة ترقب أفاعي النور التي شرعت
تتلوى في الظلام ، ترقبها وتهتف . والشيخة العسة تجيل
الطرف في حوائج تُنزع منها ، تجيل الطرف وتبكي .
وما كانت الدموع لتتقلب يوماً ذهباً وفضة يفياها المدين
ويرضى بها الدائن !

هذه هي الطاولة التي تتناول عليها طعامها الغث
الجاف . وهذا هو المقعد الذي طالما جلست عليه تستطلع
خبايا الليل البهيم . وهذه هي المرأة الكالحة البلور التي تُرجع
صورة وجهها الكئيب وقامتها المسوخة ودموعها الغزيرة
وجيع ، وجيع مشهد دموع اليأس في المرأة الصلبة
الباردة !

كم كانت تحرص على هذه الامتعة الحقيمة ! هي
تلمسها الساعة ملاطفة ، شاكية ، شاكرة ، آسفة . ألا انها
لم تعُد لها ، فمن أين هي آتية بمثلها الآن ؟
تعاون الرجال على اخراج اكبر متاع من الغرفة
فهرولت الشيخة اليهم والزفير في صوتها يقطع الشهيق :

لهذا السرير ! السرير الذي طالما انال أعضاءها الكلية
 راحة بعد مشقة النهار الطويل
 وُضع السرير بجوار الحوائج الاخرى ، ووقفت هي عنده
 واستولى عليها الهدوء بغتة ، وطفق رأسها ينحني ببطء حتى
 استقر عند نحرها . وظلت كذلك كأنها في جمودها تماثل
 الحزن على ضريح ميت حبيب
 الجماعات تضج والمدافع تقصف ، والاضواء تجعل
 الليل نهائراً وهاباً . غير اني لم أعد أرى سوى تقاب القنوط
 المجلل وجه الشيخة الذليلة . وكأنني لمحت غائرات الكواكب
 يتشاورن في مؤاساة تلك المرأة الوحيدة - الوحيدة وسط
 ازدحام الجماهير

عاملان اثنان يتجاذبان الجنان : الحزن والسرور . على
 ان قطرة حزن في عمقها توازي بحر سرور في اتساعه . . .
 صوتان اثنان يناديان المرء من سحيق اقطاب الحياة :
 صوت السعادة وصوت الشقاء . فينطلق يعدو والسعادة وجهته .

لبنة
عبر
النصر

على ان صخور الوعر تهشم قدميه ، وأشواك القناد تدمي
يديه، وتأوؤه الشكل والوداع يفطر لبه، وتجهده المسؤولية في
ميدان الاعمال ، فينسى السعادة بين الشفقة والنضال لأنَّ
الشقاء حقيقةٌ والسعادة خيال

غاملان اثنان يتجاذبان الجنان : الحزن والسرور . على
ان قطرة حزن في عمقها توازي في اتساعه بحر سرور ...

لبنة
عبر
النصر

تدافعت الجماهيرُ في الشوارع المؤدية الى حديقة
الازبكية لحضور المهرجان الاكبر، فهل من باحثٍ يهتدي
إلى الشيخة وسط العباب البشري المتزاحم ؟

فقدك بصري ولكني لا أفتأ أتحرّن لك ، أيتها
الطريدة . الى أين تذهبين ؟ أتقصدن الى جمعية خيرية
وكلمنّ الليلة موصدات الابواب ؟ أم تطرقين باب كريم
وكرام البشر لا يعباون بغير لطيف الجمال أنيق الهندام ؟ أم
تهجمين في مدخل منزل عظيم والناس كالشرطة يعتبرون
من لا منزل له لوصاً متشرداً ؟ أم تبكين كما رأيتك باكية ،

وتعدّين يدك المرتعشة للتسوّل فيعرض عنك الفرحون لأنّ
 نأحاً يعكّر صفو الأُنس مكروهٌ بحقّ؟ أم تستنهضين
 همة صديقٍ ولستِ بالشابة المليحة ليتحمس لك المتحمسون،
 ولا بالوجهية القديرة ليتقرّب اليك المتقربون؟ أم أنتِ
 وطّدتِ النفس على زيارة النيل السخيّ الذي يجود ولا ينتظر
 وفاءً فتجدين من امواجه صدراً ليّناً ، ومن امواجه عطفاً
 عذّباً ، وتباركين موتاً احتضنكِ عندما نبذتك الحياة؟

.

أيا كانت وجهتك قفي قليلاً لا ودّعك
 نظري بعيد عنك وانما هو حاتم حولك وتبعمك شفقتي
 الدامية ، تبعمك روجي المنفطرة معك
 روجي المنفطرة تعانقك ، أيتها المسكينة . أشاعرة
 أنت بوجودي؟ أنا الفتاة أستطيع أن اكون لك لحظة أمماً ،
 أيتها الشيخة الطريفة . أنت الآن كسكل سقيم تحتاجين الى
 حنو الأم وما كان كلّ ذي أم نائلاً من الحياة حنوّاً !!
 سأهمس في مسمعك كلمات حلوة لا تعرف سرها سوى شفاه

المظلومين ، وسأمسح عبراتك بأنضر ورود البستان . ثم
أهدي الورد وما امتصته من لآلىء القلب الى آلهة العبرات
والاشجان

ليلة

عبر

النصر

لا تشكي الوحدة فأخوانك الاشقياء كثير . ولا تنديني
حظك فانواع العذاب حجة وصنوف الذل لا تحصى .
لست بالقييحة ما كان لك جمال اليأس الرائع ، ولا انت
بالمعجوز ما ظل منهل البكاء فيك فتياً كما كان منذ فجر العالم
فيك يتجلى الليلة الفرد الجوهري بينا الفرحون
يمثلون الفرد المجازي . أنت الذات الجليلة المفجعة وهم الذات
الهزلية الطائشة . أنت الحقيقة الناصجة وهم الوهم الخالي .
انت قطرة الحزن التي توازي بحر السرور ، لان وراء اللهو
والجزل فراغاً وخلواً . ووراء الحسرة والقنوط نفس زاخرة
بالمواطف ، متسكرة بالحرق ، روية بالدموع يتناظر في
غورها جباراً الحياة : الممكن والمستحيل

صوتان اثنان يناديان المرء من سحيق أقطاب الحياة :

صوت السعادة وصوت الشقاء . فينطلق يعدو والسعادة
وجهته . على أن صخور الوعر تهشم قدميه ، واشواك القتاد
تدمي يديه ، وتأوه الشكل والوداع يفطر لبه ، وتجهده
المسؤولية في معترك الاعمال فينسى السعادة بين الشفقة
والنضال لأرَّ الشقاء حقيقة والسعادة خيال
عاملان اثنان يتجاذبان الجنان : الحزن والسرور . على
ان قطرة حزن في عمقها ترجح في اتساعه بحر سرور . . .

الطبيعة المعمرة الملك مرة

تلك الشجيرة الخضراء كنت أزين ردهة الاستقبال
 كل يوم عيد وكل يوم اجتماع
 وفي أحد الإساءة ، وقد خرج الزائرون ، سمعنا جلبة
 سقوط وتكسر ، فسارعنا ، فاذا بالهرة البيضاء واقفة في
 الظلام وقد دهشت لما تتج عن تلك القمزة الواحدة من
 قزاتها العديدة
 وكان الاناء الخزفي قد انقلب وتحطم فتبعثرت
 أجزؤه ، وانفصل عنق الشجيرة المايح عن جذعها وتجدل
 بعيدا كمن يعلم انه صائر الى لا شيء ، بعد الذبول والجفاف ،
 مع وريقات أنيقة لصقت به فنخلت خضرتها تلك
 الخطوط الدقيقة من حمراء ورتقالية وفستقية وصفراء
 فجمدت جود الأسف
 ثم وضعت العنق الطويل وما انتشر عليه من بهيج

الطبيعة

المعمرة

المدمرة

الوريقات في آنيةٍ طاخفةٍ بالماء ، لعله يُستبقي حسنه أياماً الطبيعة
 أخرى أو ساعات . وأحكمتُ الجذع وما تشبّث به من الممطرة
 مترام التراب في اناءٍ خزفيٍّ جديد ، وجعلتُ له مكاناً توفّر المدمرة
 فيه الهواء والنور والحرارة

وما انقضى اسبوع وجاء آخر الا وبدأت طلّائع الوجود
 في ذلك الجذع المجدوع ، وأسفرت عند جوانبه بسيّيات
 خضراء

فزدتُ تعلقاً به وحرصاً عليه ، أرقب فيه تفرّغ قدود
 الاغصان وتكوّن صور الأوراق ؛ ولم يُعدّ ينتظر سوى
 مرور الأيام لينمو ويتكامل

فوقفت أعجب به ذات صباح وهتفت قائلة :

— « بورك بك ، أيّها الطبيعة السخية الوهوبة !
 ما أتلفت يدُ الضياع ودمرت الارمّت يدُ العطاء منك
 وجددت . سرّردّ اليّ بفضلك شجيريّ الحساء ، أضعها في
 صدر الردهة فتبدو لي الردهة بها ايواناً صغيراً . بورك بك
 أيّها الطبيعة المليّة الشفيقة ، لان اشارتك الاخيرة هي

الطبيعة: دواماً اشارة البذل والبناء !
 المعمرة: في هذه اللحظة أقبلت طفلة الهرة المولودة حديثاً تفتحُ
 المرمره: عينيها المغمضتين للتعرف بما حو اليها. وما لبثت ان لمحت الآنية
 الخزفية أمامها: فدَّت اليها يدها الصغيرة وقفزت الى حاقها
 تشتمّ وريقات البنت المتجددة
 ... ترى ، أتأني البنت ما سبقتها الأمُّ الى فعله ؟

يوم الموتى

ريحٌ خريفيةٌ تعصف في الأشجار فتزعجُ عنها الأوراق
وتسفي التراب فتذرُهُ في الجوّ عجاجاً ، وأشجان خريفية
تشتدُّ في مكامن النفس فتثيرُ فيها تذكارات وتهمينُ على
تذكارات

اليوم تجرّحني الأصوات والخطوات والنظرات وأرى
كل حركة يأتيتها الناس تمثيلاً . كأنما الحكمة المثلّية لديّ في
تكتّم الصور المتوارية تحت صدرة القبور ، وفي هجوع
الاشكال المتقلّصة حين ما من أحكام البعث والنشور
اليوم عيد الموتى وهذا شهر الموتى . هذا شهر الكآبة
المزدوجة : كآبة الحسرة والدموع عند الشعورين وكآبة
التأمل والتبحّر عند الباحثين المتفكرين . للأموات من
البشر يعيد المعيدون . وأنا أُعيد لمن عاش ومضى ، وعلم
ونسى ، ولما ظهر واختفى ، وأبرق وانطفأ أي لكيفيات

يوم
الموتى

الحياة المعروفة والمجهولة جميعاً

اليوم عيد جميع الموتى

يوم
الموتى

عيد العيون الجامدات ، والقلوب الساكنات ،
والاوراق الذابلات ، والآمال الذاويات ؛ عيد شريف
الانكسارات وذليل الانتصارات ؛ عيد آلهة ترلّف لها
العباد ونحروا على هياكلها الأفتدة قرابين ، ثم قاموا
يدكون قوائمها ، ويحرقون معالمها ليدوسوا رمادها بأقدامهم
الطاغيات ؛ وعيد مذاهب شيدت صروحها في مجاهل
الغابات وعلى قمم الراسيات بما تجمد من دماء القلوب وتصلب
من لهب العواطف ، ثم انبرى مؤمنو البارحة يصيحون
بين جدرانها صياح الهادم الأثيم . عيد كل ما قدس من
رمزٍ ثم احتقر ، وكل ما فوخر به من رأيٍ ثم دُحر . عيد
مدنيات دون العلم ارتفاعها واندثارها ، ومدنيات غور
ذكرها في غلس التاريخ وما زالت حية قاهرة في استعداداتنا
وميولنا . عيد عوالم خبت انوارها في الاطار الفلكي ،
وتطابت غازاتها وتفتت اجزاؤها متفرقة في المدى

يوم
الموتى

الشاسعات لينضم كل منها إلى ما يجذبها من عنصرٍ أو كوكب . وعيد شمس طالما بعثت بالنور والحرارة إلى انظمة جليلة فصفرت واياها في الهاوية الرهيبة صفوراً ، وليس من يلتفت لغيابها . لأن عين العلم وان تسلحت بالتلسكوب ضعيفة عاجزة ، ولأن الاكوان لاهيةً بأنانيتها الحيوية ، مسوقة إلى تميم دورتها المفروضة . فلا يستوقفها في سبيلها ما يلهب من شمس ، ويتحطم من عالم ، ويحترق من سيار

بل اليوم عيدك ، أيتها المجرّة العظيمة ، بما تراكم وتلاذب فيك من ملايين الكواكب المتتابعة التكوّن والتحوّل . وانتِ على هذه الضخامة لست غير جزء من الخليقة الشاملة حيث تتعاقبُ الاكوان الفخمة فتملأ الفضاء الذي لا يُحدّ ، وتتجدّد في كل اتجاهٍ على أبعاد لا يدركها قياس ، ثم تبلى وتختفي في ظلمات اللانهاية

يوم
الموتى

ولكن قبل ان يطير الفكرُ منّا إلى ابراج خاويات

وشموس متجلدات ، ما ذكرنا الموت إلا احتضتكم قلوبنا
أيها النازحون الراقدون . ما ذكرنا الموت إلا سمعناكم
متكلمين ، وخلصناكم باسمين ، وشعرنا بنبضات قلوبكم في
راحات أيدينا . فنسألكم « أين انتم » فتجيب القبور « هاهم
في حماي » . فتفرع قلوبنا من عناقكم وراحاتنا من نبضات
قلوبكم ، ولا يرن في مسامعنا غير نهد الاسى ، ولا تبصر
عيوننا غير سائل عبرات

يوم
الموتى

سرت البارحة بين الاضرحة متمهلة امتنشق جثمان
الماضي الفسيح ، فتاقت أعضائي إلى الرقاد في ظلّ العصون
الحنونة . يالغرور الذين أقاموا هذه القبور المرمرية ناصبين
حواليها التماثيل الفنيّة ! عجبانُ المنايا يسوي من كبريائنا
الصعود والهبوط اذ يلقي بنا في معمل التحول العام ، فتعود
أيدينا الحقيرة إلى إعلاء الآكام وحفر الحفرات تمييزاً للذليل
الأسماء ! وبدلاً من ان نبعث بذوينا إلى باريهم على ما يريد
ترانا نوثقهم بكتائف التظاهر والدعوى ، ونثقل كواهلهم

يوم
الموتى

بالجدران والتماثيل خوفاً من ان نكون بسطاء متواضعين
 بوم الموتي ولو في أحزانتنا فحسب! ولكن أصوات الموتي تتشابه وراء
 القبور البسيطة الجليية والقبور المزخرفة الحقيمة: هذا
 ضريح شهيم عظيم سألته حكاية نزيله فقال: لقد عاش
 وأحبّ وتعذّب وجاهد ثم - قضى

وهذا مضجع فقير ينزوي وراء المضجع سألته عن
 ضيفه فأجاب: لقد عاش وأحبّ وتعذّب وجاهد ثم - قضى
 وهذا قبر فتاة لم ير الناس منها غير اللطف والبسات
 وفي قلبها الآلام والغصّات، وهو كذلك يقول: لقد
 عاشت وأحبّت وتعذّبت وجاهدت ثم - قضت
 وهذا قبر امرأة صالحة اسعدت زوجها وابناءها جميعاً،
 وصوته يقول: لقد عاشت وأحبّت وتعذّبت وجاهدت
 ثم - قضت

وهذا قبر من كان عالّة على نفسه وعلى ذويه، وعلى
 كل محيطه حتى من لقيه صدفةً في طريقه، وصوته
 يقول: لقد عاش وأحبّ وتعذّب وجاهد ثم - قضى

وهذا قبر طفل رضيع لم يُحسب عمرهُ بغير الايام ،
وهو يقول : لقد عاش وأحبّ وتعذب وجاهد ثم - قضى
هذه هي حكاية الموتى وهذه هي حكايتنا نحن اللاحقين

يوم
الموتى

٣٢٠

هذه حكاية الموتى على الاطلاق ، حكاية الظالم منهم
والمظلوم ، والكبير والصغير ، والذكي والمعتوه ، والاحق
والحكيم ، صاحب القبر المرمرى الذي لا تبلغ الهامات
عتبتهُ وصاحب المضجع الزرابي الذي تدوس هامته الاقدام .
كلُّ منهم عاش مرغماً ، وأحبّ مرغماً ، وتعذب وجاهد
بامكانه الفطري والا اكتسابي ثم - دعاهُ الردى فلبى صاغراً

واذا تحوّلنا عن هذه المقبرة ذات الحدود الى مقبرة
الخليقة التي لا حدود لها سمعنا من الزهرة والشجرة
والحيوان والانسان والشعب والجنس والمدنية ، ومن كل
سيار ، ومن كل شمس ، ومن كل نظام شمسي ، هذه
اللازمة التي تأتي التغيير : لقد عاش بقوة الحياة التي كوّنتهُ

يوم
الموتى

بوس
المولى

وشكلته وأدجته في فصائلها . ولقد أحب بقوة الجاذبية
الشفيفة العنيفة التي تضمد جراح القلوب لتمرزقها ، وتواسي
أوجاع الارواح لتضنيها ، وتجلو للعقول اسراراً لتثقلها
بنوامض الاسرار . ولقد تعذب لأن العمر ارتفاع وانحدار
ونعوت وتناقض ، وبين هذه المناقضات المحتمة يتفطر الفرد
في احتياجه الى التوازن والثبات . ولقد جاهد لأن الجهاد
وسيلة يزعمها موصلة إلى الثبات والتوازن . وهي لا توصل
إلى غير نفسها ، لو علم العالمون ! لقد جاهد ضد العناصر
وضد الفصول ، ضد الاجناس وضد الجماعات ، ضد
الاصطلاحات المتحجرة والمجازفات المتهورة . ضد الغنى والفقير
معاً ، ضد الجمال والقباحة وضد البله والذكاء . جاهد ضد
الغريب ، وضد الاعداء ، وضد الاصدقاء . وجاهد ضد أحب
الاحباب . وكان أوجع جهوده ضد ذاته - تلك الجهود
التي تكسر لولب القدرة وتبيده بينا الجهود ضد العالم
الخارجي تمرزه وتقويه . ثم عندما تحلبت منه القوى
بالحياة والحب والعذاب والجهاد قضي - أي التحف باللغز

يوم
الموتى

الأعظم ، وأسدل على حقيقته الظاهرة حجاب الخفاء ،
وغاص في مغذية الكائنات ليتقمص في النار شرارة ، وفي
الهواء نسمة ، وفي الماء قطرة ، وفي التراب ذرة . وما هي
الذرة ؟ أم هي مادة أم هي قوّة ؟ أم هي فاعلة أم هي منفعة ؟
أم هي بصيرة أم هي كفيفة ؟ ولماذا تتجمهر ومثيلاتها لتشكل
الصّور ثم تحلها ، ثم تشكلها ثم تحلها ؟ أم في المادة كلّ وعود الحياة
وكل قواها ، أم في الحياة كلّ وعود المادة وكل قواها ؟
ولماذا تتعاون الحياة والمادة حتى تصيرا في دماغنا إدراكا ،
وفي جناننا عاطفة ، وفي اعضاءنا حركة ، وفي ألباننا نورا ،
وفي مجازنا دموعا ؟ ماذا تريدنا الحياة وماذا تبغى المادة
منا ؟ ومتى تنتهي هذه الالعوبة السحرية التي تبتدىء
بالاهتزاز ، وتستطرد بالاهتزاز ، ولا اهتزاز بينهما ؟

يوم
الموتى

والآن اذا سمع الرياح تعتول وتندب ، والاجراس
تطن طنين الغم والكرب ، والارغون يعزف ألحان التفجع
والانتحاب ، ثم تترأى لي أودية وجبال زُرعت فيها العظام منا

وامتدَّت الاعصاب، وتبسَّط الخيالي سَهولٌ ومروج تغدَّت
 من اجسامنا وارثوت بدمائنا، وتضجُّ حولي أصوات الباكين
 الحزاني، وتزاحم امام ناظري جميع مشاهد الفراق - فراق
 مرَّ يُحتمُّ الموت وفراق أمرٌ تقضي به الحياة. فأذوب
 واتضاءل ثم اذوب حيال بحر الشقاء العام حتى البث ذرة
 واحدة متوجعة متلهفة متفجعة تنوق الى التلاشي والنسيان -
 اذ ذاك تنقشع عن عاقلتي حجبُ الجهل والانانية، وتلقي
 بي يدُ الروح الاعظم في فضاء اللانهاية، ويحملني جناحان
 قويان الى حيث أجدُ الموت حدثاً عرضياً والفاء خيالاً
 زائلاً. اذ ذاك ينمو كياني ويتعالى ويعظم فيتشققُ هواء
 الحياة الواحدة السائدة في كل مكان

من أعماق اللجج الى أعالي الجبال، من نواة السلب
 المبعثرة في المادة الخرساء الى نواة الايجاب الكامنة في بوارق
 الكهرباء، من ذرة الرمل، الى الشجرة المزهرة، الى الهواء
 الملامس أفنانها، الى طير سباحات تحت الغمام، الى فتيت
 شمس تلبد في حضن المجرة، الى أبعاد لا يُدرکها غير الخيال

يوم
الموتى

العظيم ، الى ما وراء ذلك من إطار الخليقة السايي ، الى كل نقطة من كل مسافة في كل مكان من كل زمان في كل ابدية تموج حركة الحياة النضناض متتابعة متقطعة ، متفردة متنوعة ، متظاهرة متوارية ، متلاطفة متخاشنة ، متمهلة متضاعفة ، متشددة متعادلة ، ابدية ازلية سرمدية . صوتها العجيب يتراجع من حنجرة الى حنجرة ، ومن افق الى افق ، ومن عالم الى عالم ، ومن سكوت الى سكوت ، مولولاً مع الاعصار ، هامساً مع السمات ، نادياً مع البخار ، مدممًا مع العناصر ، متممًا مع ثلاثمائة الف من اجناس الحشرات ، صامتًا مع جميع المكروبات والذرات ، آجاً مع المجهولات ، ملعلعًا مع الآلات ، حافاً في حفيف الافلاك ، داوياً بجميع انغامه ونبراته في ملايين الملايين من اصوات الخلائق

تكمدونا الحياة كراء سحري لا تبلى خيوطة وتحضفنا السماء فنحن فيها مقيمون قبل الحياة وبعد الموت والجحيم والفرديوس في نفوسنا يتناوبان . تغزونا الحياة في الاندحار

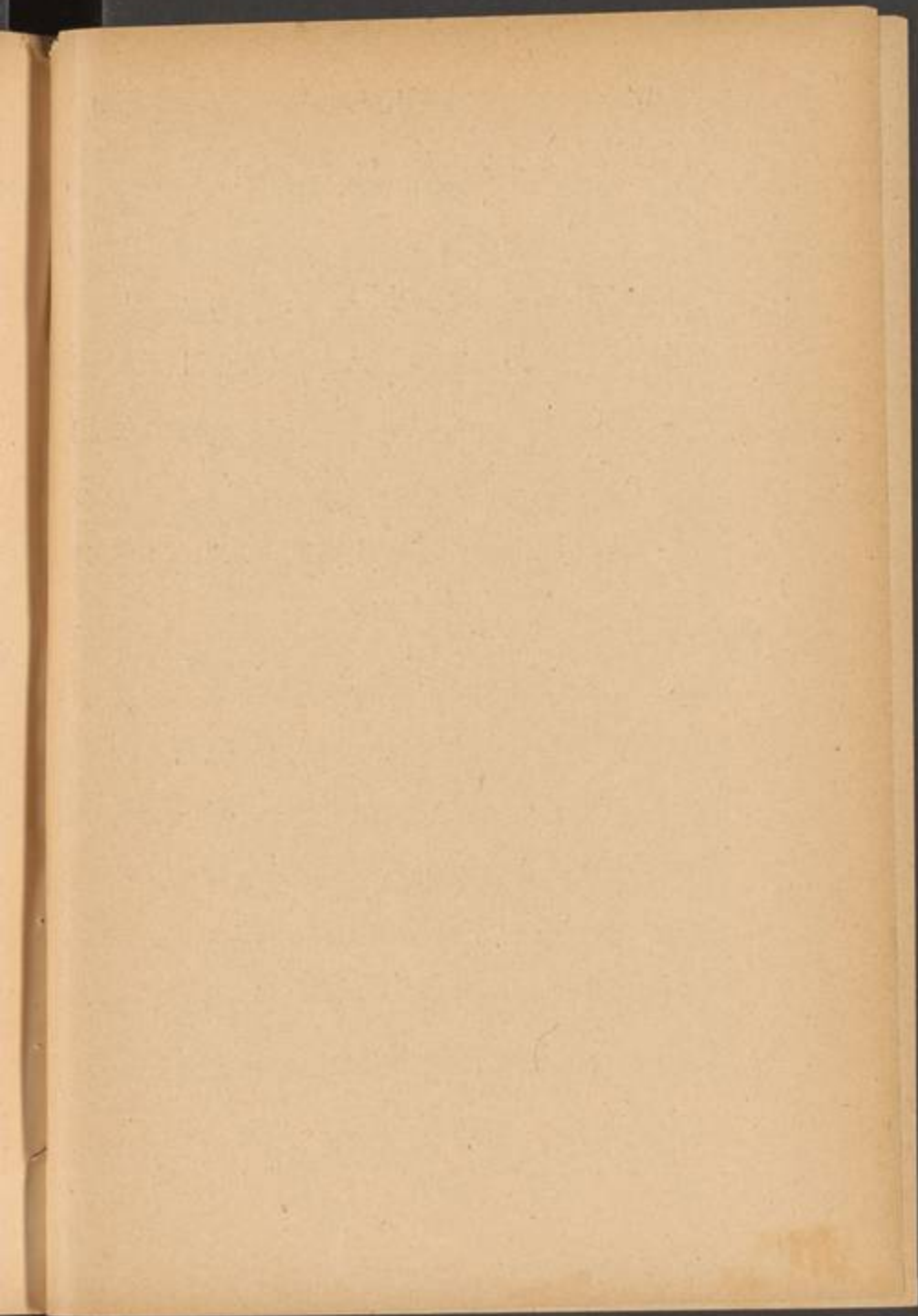
يوم
الموتى

وفي الانتصار ، فنحن أبطالها ونحن ضحاياها سواء أشتنا
أم لم نشاء

ما الارض والبحار ، وأبعادُ الافلاك سوى مدافن دهرية
انما هي في الوقت نفسه معاملُ توليدٍ وتكوين . نحن نخلدُ
الحياة بفنائنا وهي تفنينا بخلودها . ونحن أبدأ كذلك حتى
تتلج الشمسُ وتضمحلُّ قوى العناصر وتفكك عرى
الأكوان ساجحة في القناء الأ نور ، في البقاء الأ وحد ، في
حضن الله

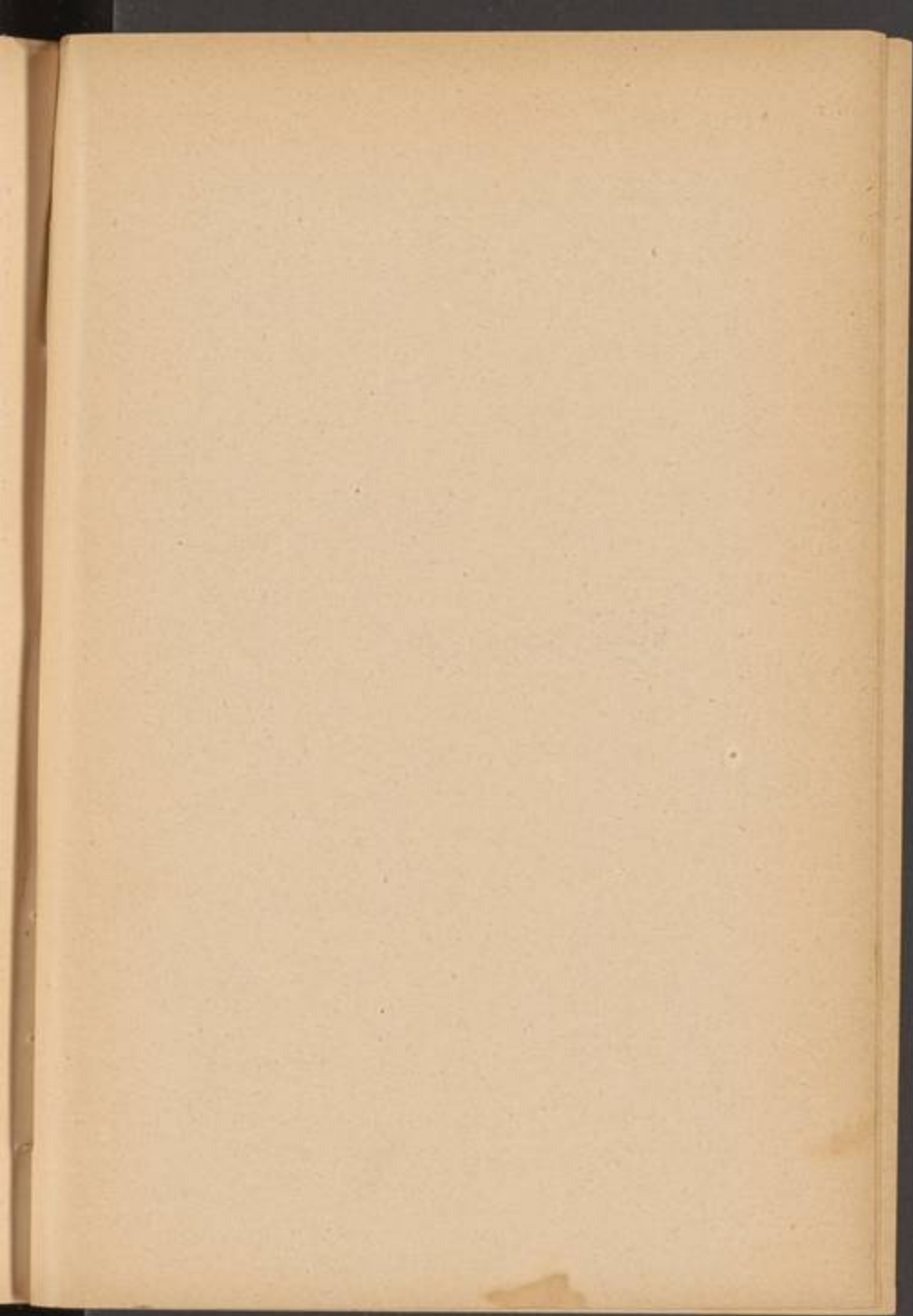
إذا أعيدُ الموتى اليوم أم عيد الاحياء ؟

انما اليوم ، ككل يوم ، عيد الناموس الفرد الذي يعجن
أشكالاً تبدها الطبيعة العلماء . يجبلها باليد الواحدة التي تدعى
القوة ويقذف بها الي اليد الاخرى التي تدعى التكيف قطعاً
ذات صور معينة . ولا يفتأ يستخرج الجديد من القديم
ويدغمُ القديم في الجديد ، ليتمّ للاحقاب تعاقبها بالبشر
والافلاك والزمان في مجاهل اللانهاية الخالدة



الكتاب الثالث

في مرقص الحياة



... ودرجت في التيار المكتسح الملايين فبلغت جوانب
 الميدان النسيح الذي تلجه الأفواج من جميع المناهج ، حتى
 اذا أمتها الأيام والاختبار تغلقت فيه شيئاً فشيئاً .
 في ذلك الميدان تقيم الحياة مرقصها ليس في قصر
 واحد كما ظننت قبلاً ، بل في مئات الألوف من القصور
 والمنازل والأكواخ وما بينها من الصحارى والواحات
 والجبال والوهاد والبحار . وما كنت أخاله ألاحظ نور تناديني
 وجدته ، زيبجاً من مشاعل الانتصار ، وأضواء الأفرح ،
 ولعان الأسلحة ، وشعوع الجنازات ، ووقود التدفئة ،
 ومسارج النذور ونباريس الاجتهاد والعناء . والنشيد الذي
 حسبه أمزوجة طرب وحبور كان خليطاً هائلاً من صراخ
 العبري وعويل الهلكي واستغاثة الفرق ، وأنين المحرومين
 واسترحام التوجعين ، وتهليل الفرحين والسعداء والمستفحين ،
 وابتهاج الاتقياء والزهاد والمصابين ، وزفير الحفظة والشهامة ،
 وصعق التحريش والتهديد والاستنزال ، وحمد القناعة
 والشكر والرضوان - وألوف الوف الاصوات المؤلفة نشيد
 الحياة الراشح المستديم

والقدرة الحفية التي أوفقتني في السكوة ثم دفعت بي
 الى السير وأوصلتني الى هذا الميدان ، هي التي سوتني
 والذين جعلتهم حولي يصفقون ويلطمون . فتدمرت مع
 الضعفاء وانتصرت مع الاقوياء ، وتواكأت كالظفيليين
 وتناشعت كالنبلاء فعرفت كيف يمز الناس وكيف يذلون
 كيف يجوعون ويشبهون ، كيف يؤلمون ويتألمون ، كيف
 يستبدون ويظلمون . عرفت عبودية الساكنين وحسدهم
 ولجاجتهم واستغلال الاغنياء واناقتهم وجفافهم . عرفت ان
 لكل امرئ ، محملاً وان هس وبس ، وان لكل طاق حمال
 وان تقوم وانتصب ، وان لكل من أسرى الحياة اطماعاً

ومطالب وشكايات : فواحد يبتغي الفوز بالحنق والجهود ،
وواحد يكمد ولا ينال شيئاً ، وواحد لا يتعب ولكنه ينال
كل شيء ، وواحد يصيح بأنه ذو حق ونصيب وليس
له الكفاءة والاجتهاد اللازم للظفر بذلك الحق والتمتع
بهذا النصيب . وبيننا جلبة الاصوات تتعالى من كل صوب
يطغى المد جارفاً الجماهير والانظمة والجهود والمطامع
فيحتضنها من الحياة المباب الرجاف كما يحتضن الحقم الزاخر
ملايين الفطرات التي لا تعد ولا تحصى - وتظل الحياة محيية
مرقها حيث تتابع الاشباح والصور والنفوس والحركات
والانوار والظلمات ...

وها انا ذي أسير في أطراف مرقس الحياة معانية
ما يعانیه مساجين الوجود جميعاً ، يبرح بي واياهم
الشوق الى السعادة وأتلقى مثلهم ذلك الوحي المتجدد
بوجودها . وعند كل خطوة خيبة وكدر ، وعند كل خطوة
أمل وجذل ، وعند كل خطوة روعة حيال هذا السيل
الحيوي الذي يتدفق مرغياً مزبداً الى حيث
لا يدري . وعند كل خطوة استفهام لا جواب له عن
معنى الحياة وغايتها ، عن معنى الألم وغايته ، عن معنى
الطرب وغايته . وعند كل خطوة سؤال للسكون لماذا وجدت
النفس الانسانية كالتحس الجرف ترجع لكل صوت يقرعها
صدى رناناً عميقاً وجيماً ...

كن سعيداً

كن سعيداً
في هيكل الاشجان الانسانية وقف الزعيم الاكبر
يخطب في القوم فسمعته يقول :
« اذا كنت غنياً كن سعيداً ! لأن مزاوله الامور
الخطيرة هيئت لك وكنت مشكور الصالحات مرجو
الجميل . لقد عزّ جانبك ، ومُنعت حوزتك ، ونُشر
رواق العز فوق ذمارك فتمّ لك وجهٌ من وجوه الحرية
والاستقلال . وان كنت فقيراً كن سعيداً ! لأنك
سلمت من شلل معنوي ابتلي به من دانت لرغبته جميع
المطالب ووقيت ما عرض له السري من حسدٍ وكرهٍ ،
فلا تناظى الصدور لنعمتك ولا يُنظر الى متاعك بعينٍ
مريضة

« اذا كنت محسناً كن سعيداً ! لأنك ملأت
الايدي الفارغة ، وسترت الاجساد العارية ، وكونت

كن
سعيراً

من لا يَـكـانَ لهُ فـرِضـيـتَـةٌ عـنَ نـفـسـكـ ووددتَ إسماعاد
عشرات ومئات لتتضاعف مسرتك النبيلة الواحدة بتعدد
المنتفعين بأسبابها. وان عجزتَ عن الاحسان كن سعيداً !
فقد اجلت ساعة تشهد فيها نكران الجميل بمن صانعتَ
فاتخذ المعروف سلاحاً يهددك به حاسباً التجني شجاعة
والسفاهة حذقاً . تلك الساعة لا بد من مرورها فتوتر
لها أعصابك ، ويفور سخطك ، وتقسو عواطفك ،
ويجفُّ منهل كرمك ، وتحتقر الانسان وتيأس من
اصلاحه - قبل أن تصل الى قمة الغفران السامي والتغاضي
الحكيم

« اذا كنت شاباً كن سعيداً ! لأن شجرة مطالبك
مخضلة الغصون ، وقد بعد أمامك مرمى الآمال فتيسر
لك اخراج الاحلام الى حيز الواقع إذا كنتَ بذلك
حقيقاً . واذا كنت شيخاً كن سعيداً ! لأنك عركت
الدهر وناسه وأقيتَ اليك من صدق الفراسة وحسن
المعالجة مقاليد الامور : فكل أعمالك ان شئت منافع ،

كن
سعيداً

والدقيقة الواحدة توازي من عمرك أعواماً لأنها حافلة
بالخبرة والتبصّر واصالة الرأي - كأنها ثمرة الخريف
موفورة النضج ، غزيرة العصير أُشبعَت بمادة الاكتمال
والدسم والرغبة

« اذا كنت رجلاً كن سعيداً ! لأن في شهامة
الرجولة يتجسّم معنى الحياة الاكبر . واذا كنت امرأة
كن سعيداً ! فالمرأة منشودة الرجل ، ونبها موضع
اتكاله ، وعدوبتها مستودع تعزيتته ، وبسمتها مكافأة
اتعابه

« اذا كنت رفيع الحسب كن سعيداً ! فقد فزت
بثقة الجماعة دون ان يوصي بك أحد . وان كنت وضع
النسب كن سعيداً ! لأنه خير لك أن تكون مؤسس
عيلتك ورافع عمادها الذي تُعرف به وتفخر بذكراه ، من
أن تكون أحد أبنائها المرغمين بطبيعة الحال على حمل
اسمهم ولا فضل لهم باعلائه

« اذا كنت كثير الاصدقاء كن سعيداً ! لأن

كن
سعيداً

ذاتك ترتسم في ذات كل منهم . والنجاح مع الصداقة
أبهر ظهوراً والفشل أقل مرارة . وجمع القلوب حولك
يستلزم صفات وقدرات لا توجد في غير النفوس ذات
الوزن الكبير ، أهمها الخروج من حصن انانيتك
لاستكشاف ما عند الآخرين من نبل ولطف وذكاء .
وإذا كنت كثير الاعداء كن سعيداً ! لأن الأعداء
سلم الارتفاع وهم أضمن شهادة بخطورتك . وكلما زادت
منهم المقاومة والتحمل ، وتنوع الاغتياب والنيمية زدت
شعوراً بأهميتك ، فامتظت بالصائب من النقد الذي
هو كالسم يريدونه فتناً ولكنك تأخذه بكميات قليلة
فيكون لك أعظم المقويات . وتعرض عما بقي ، وكان
مصدره الكيد والمجز ، إغراضاً رشيقاً . وهل يهم التمر
الحلق في قصي الآفاق بما تتآمر له خنافس الغبراء ؟

« إذا كنت صحيحاً كن سعيداً ؟ فقد استبان فيك
توازن الناموس السكلي وانسجامه وأهلت لمعالجة
المصاعب ودحر العقبات . وان كنت عليلاً كن سعيداً !

لأنك مسرحٌ تتقاتل فيه قوَّنا الكون العظيمتان فالغلبة
لما تختار منهما والشفاء موقوف على ما تريد

كن
سعيد

« إذا كنت عبقرياً كن سعيداً ! فقد تجلَّى فيك
شعاع ألميِّ من المقام الأسمى ورمقك الرحمن بنظرة
انعكست صورها على جبهتك فكراً ، وفي عينيك طلسماً ،
وفي صوتك سحراً . والالفاظ التي هي عند الآخرين
أصوات ونبرات ومقاطع صارت بين شفتيك وتحت
لمسك ناراً ونوراً تلذع وتضيء ، وتحرق وتهنيء ، وتنجبل
وتكبر ، وتذلّ وتنشط ، وتوجع وتلطّف ، وتسخط
وتدهش ، وتقول المعنى « كن ! » فيكون . وان كنت
خاملاً كن سعيداً ! لأنّ الاسنة لا ترهف حدّها لتذكرك
والانظار لا يستعُرُ فيها لهيب التفحص وحبّ المنافسة
اذ تتجهُ اليك . هاك القمة فاقتمها ان كنت كفوياً .
والا فافنع بأنك جزء مهمٌّ من اجزاء الكون تستعملك
الكفاءة وقوداً . فالايوانات الباذخة لا تقوم بغير الحجارة
الصغيرة ، وانت متمتعٌ براحةٍ لا ينعم بها من لا ترتوي

كن

بعبارة

شفتاه بغير ماء الحياة ولا تغتسل روحه بغير سيول الالهام
 « اذا كان صاحبك وفيك كن سعيداً ! لان الايام
 حبتك بكنز من ائمن كنوزها . وان كان خائناً كن سعيداً !
 لانه لم يكن على استعداد لاستماع امثولة خفية تلقيها عليه
 نفسك . ولا يغادر امرؤ حظيرة المحبة إلا ليفسح مكاناً
 لمن هو خير منه وأجدر

« اذا كنت حرّاً كن سعيداً ! في الحرية تتمرن
 القوى وتتشدّد الملكات وتتسع الممكنات . وان كنت
 مستعبداً كن سعيداً ! لان العبودية افضل مدرسة تتعلم
 فيها دروس الحرية وتقف على ما يصيرك لها أهلاً
 « اذا عشت في وسط يفهمك ويقدرك كن سعيداً !
 فهناك اكتسبت كل يوم شباباً جديداً وقوة جديدة ،
 ونمت روحك ثم نمت حتى أذهلتك منها الآفاق والبحار .
 وان عشت في وسط متقهقر منحطاً ، أيها التمس ! كن
 سعيداً . لانك في حلٍ من ان تخلق لك جناحين تطير
 بهما فوقه ، الى حيث تبدع من أشباح روحك عالماً حوى

كن

سعيداً

قوتاً لجوع فكرك وشراباً لظمائك
 « إذا كنت محباً محبوباً كن سعيداً ! فقد دللتك
 الحياة وضممتك الى أبنائها المختارين ، وأرتك الالهية
 عطفها في تبادل القلوب . واجتمع النصفان التائهان في
 الجاهل المدلهم فتجأت لهما بدائع الفجر وهنأتهما الشمس
 بما لم تهتد بعد اليه في دورتها بين الافلاك ، وأفضى اليهما
 الاثير بمكنون أسرارهم . لذلك هما يتاملان حيث يتصان
 الخالي ، وبصمتان حيث يتكلم ، ويمزحان حيث يحد ،
 وتفترسان في خطوط البقاء حيث لا يلمح هو خيالاً .
 وان كنت محباً غير محبوب كن سعيداً ! لان النابذ
 يحب المنبوذ في أعلى طبقات كيانه - حباً لا يدانيه
 افتتانه بمن يهوى . والمجران حالة جمة المعاني
 والالغاز ترقق ما ضخم من الرغبات وتصفى ما عكر
 من الانفعالات حتى يغدو الفؤاد شفافاً نورانياً متلاًثماً
 كآنية تقناول فيها الآلهة كوثر الخلود . وسوف تفوز
 بمن تريد ان لم يكن في تلك الصورة الانسية المتباعدة

فقي مواها. تهيأ للحب مهما اثقلتك المشاعر لأن
 للحب هبات وسكنات، وأنت لا تعرف ساعة مروره.
 كن عظيماً ليختارك الحب العظيم، والأفنديك حب
 يسف التراب ويتمرغ في الاوحال، فتظل على ما أنت
 او تهبط به، بدلاً من ان تسو الى أبراج لم ترها
 عين ولم تحظر عجائبها على قلب بشر. لأن هياكل
 مطالبنا انما تقام على خرائط وهمية وضعتها منا الاشواق
 « كن سعيداً لان أبواب السعادة شتى، ومنافذ
 الحظ لا تحصى، ومسالك الحياة تتجدد مع الدقائق.
 كن سعيداً دواماً، كن سعيداً على كل حال ! »

انفض القوم فاذا بالجماعات تقف عند بقية جدار
 خارج الهيكل لتتجب وتبكي، ومضى غيرها في سبيله
 ضاحكاً هازئاً. فنظرت الى شبح انتصب قربي نظرة
 استفهام فقال « أنا روح الخطاب جئت أرى تأثيري
 في الناس »

كن
 سعيداً

كن
 سعيداً

قلت « اذن انت تعلم ما هذا الذي يبكي الناس
عنده »

قال « هذا جدار الدموع »

قلت « وهل هؤلاء يهود وهل نحن في اورشليم ؟ »

فقال « للانسانية كما لليهود « جدار دموع » تبكي

عليه وتتحسر »

قلت « ولماذا يبكي هؤلاء، بعد تلك الخطبة المعزية

الموحية الرجاء ، خطبة السعادة الجميلة ؟ »

قال « منهم من يبكي لأنه لم يسمعها من قبل . ومنهم
لأنه سمعها قبل الآن ولم يستفد . وآخر لأنه استفاد أياماً
ثم تغلب عليه المحيطُ وجرتهُ الوراثة بائقها الباهظة الى
هوة القنوط . وغيره يبكي بكاءً عصبياً لان الباكين
يحيطون به ، ولو ضحكوا ورقصوا لكان أول المقلدين .
وغيره ليظهر انه ذو نفس حساسة تستوعب كل تأثير صالح .
ويبكي غيره لأنه يرى في الجدار المحطم صورةً لا ماله

كن
سعيأ

الذائبة وهو من الذين يندبون حيال متراكم الاخرية ،
ومندثر الديار ، ومتعفي الآثار»

قلت « وأوثاك ضاحكون ؟ »

قال « هم ذوو الاذهان المحددة التي لا تعترف بما
لا تفهم وتهزأ بكل ما لا تعرف . انهم أحق بالاشفاق
من الباكين »

قلت « وهناك خيالان لا يبكيان ولا يضحكان .
رجل وامرأة يسيران جنباً الى جنب بخطوات هادئة بطيئة
منحني الجبهة وفي عيونهما تتالى دوائر الافكار ، أتدري
من هما ؟ »

فرنا اليهما الشبح وقال « هما الارض المخصبة . هما
الشعلة المقدسة . هما اللذان فهما واستفادا »

فقلت مكتئبة « أسفاً على الخطاب البليغ تسمعه
الجماهير الغفيرة فلا يستفيد به سوى اثنين ! »
فتألق وجه الشبح بنور سماوي وقال « بل ما أنفعه

خطاباً هو في هذين الروحين غلة الدهور، وفي هذين
 الفكرين مجدد للقديم، وفي هذه الايدي مشعال يتطاير
 منه الشرر فتتقد به شمس الافلاك وشمس الازهان .
 بورك به خطاباً بورك به !»

وغادرنى الشبح وسار الى ذينك الخياليين فنشر من
 كتفيه جناحين خفيين وحاق فوق رأسيهما يقودهما ويرعاها

كن
 سعيراً

السهرات الراقصات

السهرات
الراقصات

دنا موسم السهرات الراقصات فيممها أهلُ المدينة
 وأفواجاً ، وسرتُ في جملة السائرين بثوبي القرمزي
 المرذن والقلب يحدوني بشدو الشباب والطرب . وما
 خطوتُ في القاعةِ الساطعةِ خطوةً حتى ترنحتُ لتوقيع
 العازفات والعازفين . واستحشيتي تمايل الراقصات والراقصين
 فأغفلتُ ذكر اللواعج والتباريح ، ونسيتُ انه بينا في
 رحبات الجذل يتمتع السعداء ويلهون اذا في كهوف القدر
 تنفطرُ حشاشات وتدمع عيون

رقصتُ مع كل راقصٍ ذي كياسة ، واحتسيتُ
 الكوثر من كووس عسجدية ، وبسمتُ شفتاي لكل
 شفة باسمه ، ولعتُ عيناي لكل عين لامعة . ولما طاف
 طائفُ الكرى بين أجفاني عدتُ مستوفية السرور الى
 مضجعي ونمتُ نومةً طويلة عميقة

واستيقظت في الغد فأذهلني ان أشعر بتضرر في السهرات
روحي ، وبطعم الفناء في في ، وبأثقال تميع على صفحة الراقصات
وجداني كأنها أحمال الدماء

وفي السهرة الثانية حيّاني أظرف رجل بين الرجال السهرات
وقال « هل لك في دورة تتوافق وأنين الاوتار؟ » الراقصات

قلت « بل عفوتُ اليوم عن نفسي وعن أبناء
الانس أجمعين . فلا هم يتعبون بمراقصتي ولا أنا أثخف
بتعليقهم عليها »

قال « اذاً نجلس في خلوة المقصف حيث الشراب
والحلوى والمجاملة »

قلت « لا . بل على تلك الشرفة الصغيرة حيث
النور رقيقٌ يمازج الظلام ولا يزيله . اتصل بي انك
محدثُ ألمعي فكلّ سهرتي هذه اصفاء »

فقتل شاربيه باناقة ، ورننا الى طرفيهما باعجاب ، ثم
انحنى شاكرراً لأنه متواضع . ثم سار بي الى الشرفة وقال

السهرات « تفضلي اذا واستريحي على هذا المقعد ذي العلاقة
الراقصات بصاحبة الملايين »

قلت « ومن هذه ؟ هات بطرف من حكايتها ! »
ففعل بطرف وأضحكني شديداً . ثم قدّم اليّ
زهرة أهدي مثلها ذلك النبيل الى تلك العظيمة ، وسرد
حكايتهما . ثم تلا عليّ رسالة جاءته من تلك الجميلة وأخرى
وردت اليه من ذلك الوزير ، وسرد حكايتهما .

ثم حدثني عن آخرين وأخريات . وكان الراقصون
يتقاعون أزواجاً متخاصرة وذاكرة نديمي سجلت حفظت
صفحاته الامينة تواربىخ الافراد والجماعات صعوداً الى
آباء الآباء بما زينها من فضل - وما أقله ! - وما يشوبها
من نقص - وما أوفره ! وتطرّق الى الإلماع عن تأثيره
الحالي في تقسيم الممالك واتفاق الدول وعقد المؤتمرات
وسنّ القوانين . تلك شؤون لم يكن ليعرفها أحد وانما
هو كان يُسرّبها اليّ لأنه ينظر اليّ بعين الاكبار
والاعجاب ، وكل ما يتبع هذين أو يسبقهما من الاعترافات .

فكنت أصغي متفكهاً ضاحكةً إذ أجد في ما يقول السررات
 ظرفاً لا يبارى ، وتوقداً لا يخمد ، وفطنة لا يلحقها الرافصات
 كلل أو نضوب . إلا اني كنت أهمس لنفسي « ليت
 يسرد لي حكايتي لأعلم كيف هي في الغد تكون ! »
 وأتينا على آخر السهرة فقلتُ باخلاص « ما كان
 أقصر هذه الساعة ! »

فقتل شاربيه باناقة ، ورننا الى طرفيها باعجاب ، ثم
 انحنى شاكرًا لانه متواضع . ثم قال مشيرًا الى رجل بطيء
 الخطى ، مهيب المنظر ، مرَّ على مقربة منا - قال « لا أدري
 ما اذا كانت قصيرة في نظر هذا »
 فسألت « ومن هو هذا ؟ »

أجاب محدثي « هذا أحد اثنين . فاما يظل صامتًا
 فلا يدرك المرء لسكوته معنى ولو عاشمه مليون سنة ؛
 واما يتكلم ... فينطبق عليه قول يزعم أحد الظرفاء ان
 الله قاله عن الرئيس ابن سينا »

قلت « ألا أخبرني بما يزعم ذلك الظريف انه

السهرات تعالى قاله عن ابن سينا !

الراقصات فحدثني نديمي قائلاً « يزعم صاحبي المليح النكتة

انه لما مضى ابن سينا الى ربه جاءه الملك وسألاه

« ما هو الله ؟ »

« فاجاب لفوره « هو أسطقسٌ فوق الاسطقسات »

« فتبادل الملكان نظرة فلم يفهما . فذهبا الى الحق

سبحانه وقالوا « ربنا ! لقد جاء الساعة عبد من عبيدك

البشر ، رجلٌ يتكلم كالتكلمين ولكننا لا نفقه لقوله

معنى »

« فسأل الحق جلّ وعلا « وماذا يقول هذا الرجل ؟ »

« فاجاب الملكان « ربنا ! سألناه « ما هو الله ؟ »

فقال « هو اسطقسٌ فوق الاسطقسات »

« فاطرق المولى سبحانه وقد ألبس عليه مغزى

الكلام ، وقال « ان أمر هذا الرجل لغريب ! وما

اسمه ، أيها الملكان ؟ »

« فقال المللكان « ربنا ! اسمه عبدك الرئيس ابن
السهرات
الراقصات « سينا »

« فضحك ذو الجلال وقال « هاهاها ! لقد
عرفته ! فدعاه وشأنه . هذا رجل قضى عمره متكلماً
فلم تفهم خلائق الارضين كلمة من أقواله «
« ذاك ، على زعم صاحبي ، ما قاله الله تعالى عن
الرئيس ابن سينا »

فضحكت ثم ضحكت ؛ وودعت محدثي قائلة
« حقاً انك رجل ظريف ! » وهمست لنفسي مرة
أخرى « ليته سرد لي حكايتي لأعلم كيف هي في الغد
تكون ! »

السهرات
الراقصات واستيقظت في الغد فأذهاني أن أشعر بترضرض في
روحي ، وبطمم الفناء في في ، وبأثقال تميم على صفحة
وجداني كأنها احمال الدماء
وبكى فيّ قلبي لما شهدته من الدعوى

السهرات
الراقصات

الفارغة ، واللغو المزعج ، والتمثيل الكاذب ، والمعاطفة
السقيمة . ثم قلت مصممة « إذن فالليلة لا رقص ولا
حديث »

وجنّ الليل فقصدت الى السهرة الحافلة . تجنّبت
قاعة الراقصات والراقصين ، وهربت من أظرف رجل
بين الرجال ، واتحيتُ مكاناً فيه ينفردُ الرجل السكوت
بادرته بالتحية فلم يردّ التحية ، والقيت عليه الاسئلة
فلم يجرّ جواباً وانما نظر اليّ نظرة رأيت وراءها
محافل الاجيال ومواكب الدهور . جلست في ظلّ
سكوته ، ولم يكن سكوته سوى سكوت
الفضاء المملوء بحفيف الافلاك . وانبسطت دوائر فكره
وترامت قليلاً قليلاً فاحتوت هالة كياني ، واجتذبتني منه
القوة السرية الى سويداء قلب الوجود حيث الليل الأليل
يفضي الى برج الأضواء

وانتهت السهرة قبل أن تبدى . ولما عدتُ الى
مضجعي لم أرقد إلاّ لأواصل السير في عالم السكوت

واستيقظتُ في الصباح فخرّكت روعي جناحيها السهرات
 وقد لوّنتهما أشعة قوس الغمام ، وارتفعت جبّتي تحت الرافعات
 تاج معنويّ قد ركز عليها ، ونموتُ وكبرت فجأة لأنّ
 مختلف الرغبات في المعرفة والاطلاع انبثقت في
 وها قد انقضت ملايين أعوام فيها تعلّمتُ جميع
 لغات الانس والجن ، ووعيت جميع علومهم ، واستظهرت
 جميع مصنفاتهم ، وتلمذت لجميع أساتذتهم ، وجادلت
 جميع فلاسفتهم ، ومحصّصت جميع أقوالهم ، وسبّرت
 هول اغوارهم ، وتسالقت جميع قممهم ، ولمستُ قدماي
 الداميتان عتبات الغيوب دون ان أخفر بادراك أبسط معنى
 يحولُ في خاطر الرجل السكوت

الموضوع التائب

جاء من « النادي الأسنى » وفدٌ كبيرٌ يدعوني
الى القاء خطبة في الحفلة السنوية . فخاطبتُ الوفد
قائلة :

الموضوع
التائب

« أيها السادة العلماء والاعيان والفضلاء

« انتم تمثلون في اشخاصكم المحترمة جميع مراتب
« المدعوين . ولما كنتُ طامعةً في رضاكم ورضى
« الجمهور لثلا يضيع الوقت سدى ونكون عرضة للانتقاد ،
« فأنا اطلب اليكم ان تتفق كلمتكم على موضوع
« أخطب الناس به . فأقبل دعوتكم بارتياح »

فقال احد الاعضاء « حبذا الاقتراح الحصيف ! أما
ونحن عند حركة نسائية نبتغي ان تتناول نساءنا وبناتنا ،
فأحر بك ان تتكلمي في ترقية المرأة عن طريق العلم
والتهذيب لأنها ، وهي دعامة العائلة ، انما عليها تقوم عظمة

الأمّة وسلامة العمران»

فقال آخر « عفوك سيدي ، كلّ موضوع غير الموضوع
هذا حسن . أما اذا ذاكرتنا بهذا الشأن فقد ينسحب اننا
المدعوون واحداً بعد الآخر ، كما سبق اني فعلتُ
وبعض أصحابي يوم قامت سيّدة تلوكُ أمامنا ما سمعنا
سماعه ، حتى صرنا نحسب مردّدهُ اسطوانة فارغة تحوك
الألفاظ ولا تعي . فلتحدّثنا اذاً خطيبة الغد عن الحركة
العمرانية الكبرى وروح العصر العامة فذلك أنسب
وانفع »

فقال ثالث « أنزعج ابنتنا بتهيّئة ما قد نلمّ به من
مطالعة الصحف السيارة وأنباء البرق والبريد ؟ نريد أن
ننشط النساء ونبتّ فيهنّ حبّ الرقيّ والعرفان ، كما
نريد تحويل الرجال عن المقاهي وموائد المقامرة وحانات
الرقص . فلتسكّم إذن في موضوع علميّ فلسفيّ يشحذ
القرايح ويغذّي النفوس »
فقال آخر « سينعقد الاجتماع بعد طعام العشاء أي

الموضوع ساعة لا يكون هناك متسع « للتغذية » ويكون
النائم « الشحذ » في غير أوانه . وما نفع كلام لا يفهمه سوى
النفر القليل فتزهق أرواح الآخرين فيحسبون الخطيئة
متعمرة ويمقتون في جهلهم وتحلفهم العلم للنساء ؟ ألا
فلتلق علينا بحثاً في ما مارسته اخواتها دواماً ، حتى في العصور
المظلمة ، كالموسيقى والرقص والغناء ، فيجىء كلامها سائناً
ملطفاً بعد عمل النهار الشاق ، ولا تغلق معانيه على أحد «
فاعترض اخر قائلاً « أتريد لتتسلى أنت وترتاح
ان تجعلها هدفاً لتبجّح السخفاء الذين سيقولون « بدلاً
من ان تاتي علينا دروساً نظرية في الرقص والغناء
فالأوفق ان نرينا منها الدرس العملي طارحةً عنها غناء العلم
والبحث والتنقيب » قلت اذاً انه خير لنا ولها ان تعمد
الى عادة من عاداتنا الشائنة فتحكم تمحيصها وإظهار
أضرارها ، مشيرةً الى عادةٍ اخرى يحسن الجري عليها .
فنخرج من تلك الحفلة متفاهمين مستفيدين «
فقال آخر « اذا طلبنا الوعظ والارشاد واحتجنا الى

التهديب والتقويم فعندنا الكاهن في الكنيسة والخطيب الموضوع
 في المسجد. أما ونحن في تطورٍ قوميٍّ كبيرٍ فلتلقتنا إلى
 ما نفتقرُ إليه من المشروعات الزراعية والآلية والاقتصادية
 المائدة على البلاد بالثروة والفرج ، فتحشنا على تأييده
 ويكون لقولها تأثير عظيم»

فتأفف آخرُ قائلاً « ولكنك تخط ، يا صاحبي ،
 بين احتفالات الاندية وبين أحزاب الإصلاح ولجان
 التقرير . ليس قصدنا سنّ قوانين جديدة للبلاد ، وتعديل
 ميزانيتها ، والقاء الدروس على ولاية الأمور ، وإبدال برامج
 التعليم بسواها . ان نحن الا أعضاء نادي اجتماعي من رجال
 ونساء يجيئون ليلة أنسٍ وطرب . فأرى ان تترجم مقالاً
 او قصيدة عن كاتبٍ او شاعرٍ غربيٍّ ، لأن الغريبيين
 سبقونا الى الابتكار الذهني ، فتحفنا بأفكارٍ جديدة
 بنهيج لها بلا اجهاد»

فصاح آخرُ قائلاً « فلتسقط الترجمة إلى الحضيض وليهبط
 التعريب الي قعر الهاوية ! حرامٌ على من كان ذكياً ان يفني

الموضوع وقته في عملٍ جديرٍ بمعشر البيغاوات البشرية . أما ونحن
 التاء في هذا الاجتماع شرفيون لا أجنبي بيننا فلتسكلم اذن ،
 ولتسكلم بحماسة عن وجوب تعلق القوم بلقمتهم ليفهم
 المتفرنجون كم هم ضالون وخليقون بالسخرية والاحتقار «
 فقال آخر « وما ذنب النادي اليك ، يا عزيزي ،
 لتقترح اقتراحاً يعودُ عليه بالتداعي ؟ ان جل الاعضاء
 متفرنجون ، أزواج متفرنجات ، وآباء متفرنجين
 ومتفرنجات ؛ أتريد ان يسخط هؤلاء تاركين قاعاتنا بلاقع ؟
 دع الناس يتكلمون بما شاءوا من لغاتٍ أثرها الله ! أما
 خطيبتنا فلتصدق جنسها النسائي في حكايةٍ غرامية تصفُ
 فيها بعض طبقات الناس وبعض عادات البلدان ، وتشرح
 عواطف المرأة ونزعاتها المتنافرة . فالرواية اليوم مسهبة
 كانت أم موجزة ، غدت آلة فريدة لنشر الآراء التاريخية
 والنظريات العامية والفلسفية ، فضلاً عن وصف أحوال الشعوب
 وتسيير الاصلاح الاجتماعي والديني في وجهةٍ معينة »
 فقال آخر « لا أرى الرواية مناسبة لهذا الموقف ،

ولا يجعل للرواية هذه الأهمية الأذوو الأذهان الكليّة الموضوع
الذين يأنفون الابحاث الجادّة مجردة من الاوهام التائه
والتفريق . بل فلتزم هي الى الافادة المباشرة وتحدثنا
بما نكبره في فتاة كالطبيعيات والتملك ، فأنا لا أحتمل
من الكتاب واخطباء الآ الذين تنالني منهم فائدة
علمية ما »

فقال آخر « وهل الافادة محصورة في العلوم الطبيعية
والرياضية ، وهل هي قاعة في التلقين الأبله كما يلقن
المعلم صغار المتعلمين ؟ أرى ان الكاتب الأمثل هو الذي
لا يتصور نفسه فوق الآخرين علماً وذكاء ، بل يسترسل
في أبحاثه واثقاً من ان الجميع يفهمونه . ولكلّ منهم
ان يحتضن من آرائه الخاصة ما يتفق مع ميوله وحاجاته .
هذا هو الكاتب الفنان الذي أعزه وأحبه وأهوى
بجالسته عند صفحات الاوراق لانه يعرف كيف يثير
مني الشجون والرغبات ، وكيف يفتح أمامي جديد
الآفاق . أما الذي ينصب نفسه معاماً لي فهو الجاهل

الموضوع
التائه

المركب ، هو الدعيُّ المغرور الذي ألقى على تنطُّه
وتفهيقه نظرةً واحدةً لازداد وثوقاً مما أعلمه ، وهو انه
يسقيني من ماء غيره ، وانه ليس عنده اكثر مما يعطيني
متعاضماً

فتنهذ آخرُ قائلاً « رباه ! هل جفت مناهل
العواطف في قلوب الناس حتي صاروا لاهمَّ لهم سوى
العلوم والابحاث ؟ ألا فلتسمعنا قصيدةً منها منظومةً أو
مشورةً ، ففي شاعرة قبل كل شيء . ونحن في حاجة
الى أجنحة المثل الأعلى تساعدنا على النهوض من حمأة
المادة لنعيش ، ولو لحظةً ، في أبدية الجمال »

فاحتجَّ قومٌ على الشعر المنظوم والمنثور قائلين انه
آفة هذا الجيل ، وانبرى آخرون يدافعون عنه قائلين انه
سلوى الحياة ووحيا وروثها . واشتبك الفريقان في
المناقشة والجدل

فاختليتُ أنا بنفسي أبحثُ عن الموضوع التائه .
فوجدتُ في أخلاطنا نفيسة من معارف ومدركات

وقدرات كانت وستظل دوماً ارث بني الانسان : فهناك الموضوع
 الابحاث الفلسفية والتاريخية ، وهناك الاكتشافات التام
 والاختراعات ، وهناك الآداب واللغات ، وهناك العلوم
 الطبيعية والرياضية ، وهناك المذاهب اللاهوتية والباطنية ،
 وهناك الفنون الجميلة على اختلافها ، وهناك الروايات
 والاشعار وعلوم البيان ووصف الاسفار ، وهناك الموضوعات
 الخفيفة الرشيقة المفككة ، والاخرى الوجيمة الرثائية
 الحزنة . وعلى مقربة منها اساليب النقد واقتراحات
 الاصلاح وخرائط المشروعات المتنوعة

وبينا جلبة وفد النادي تصطبج حولي جعلت
 انا اخلق لذاتي الجماهير المتعددة - كما تمثل احياناً رواية
 مصغرة خلال تمثيل الرواية الكبيرة - ، وصرت اخطب
 في كل جمهور بما يجب ويتطلب . فأقتضب الكلام
 هنا ، وهناك أطيله . اتكلم مرة بتحمس الشاعر ،
 وبتدقيق الباحث اخرى . حيناً بصرامة العلم الطبيعي
 وحيناً بسيطرة الفكر الفلسفي . هنا بعدوبة الحب

الموضوع

التاء

وأبينه ، وهناك بقسوة الاصلاح واستثثاره
 خلقتُ لذاتي الجاهير لا لاعلم بل لا تعلم ،
 لا لأفيد بل لأستفيد ، لا لاوقف الآخريين على اسرارهم
 وممكناتهم بل لأهتدي الى أسراري وممكناتي . تكلمتُ
 ودرستُ وكتبتُ وخطبتُ لأهذب نفسي وأدللها ،
 لأعزيها وأنميها . فعلتُ ذلك لأطير ونفسي فوق
 الشواهد ، ونحسو ماء العدران ، ونكته غور الاعماق ،
 ونمتصُ عصير الازهار ، فأعيش واياها تلك الحياة الداخلية
 الرائعة التي يُشرفُ منها وحدها على بدائع الكون
 وما زلتُ أفعل ذلك - والناس يتناقشون في أي
 الموضوعات أنسب وأنفع ، وفي اي الموضوعات عليّ ان
 اعالج !

انت ، ايها الغريب !

أنا وأنت سجينان من مساجين الحياة ،
 وكما يُعرَف المساجين بأرقامهم يُعرَف كل حيٍّ
 باسمه

أنت
 أيتها
 الغريب

وقد التقينا وسط جماعات المتفقين فيما بينهم
 للضحك من سواهم حيناً ، والضحك بعضهم من بعض
 أحياناً

أنا منهم وإياك غير ان شبهك بهم يسبني . لأنني
 انما اقلدهم لأريك وجهاً مني جديداً . وأنت ، أتجارهم
 بثل قصدي أم الهزؤ والاستخفاف فيك طويّة وسجية ؟
 ولكن رغم انقباضي للنكته منك والظرف ، ورغم امتعاضي
 للتغافل منك والجبور ، أراني وإياك على تقام صامت
 مستديم يتخلله تقام آخر يظهر في لحظات الكتمان
 والعبوس والتأثر

بنظرك النافذ الهادي، تدوّقتُ غبطة من له عينُ
 ترقبه وتهتمُّ به . فصرتُ ما ذكرتُك إلا ارتدت نفسي
 بثوب فضفاضٍ من الصلاح والنبيل والكرم، متمنيةً ان
 أثر الخير والسعادة على جميع الخلائق

أنت
 أيتها
 الغريب

لي بك ثقةٌ موثقةٌ ، وقلبي العتيُّ يفيضُ دموعاً
 سأفزعُ الى رحمتك عند إخفاق الاماني ، وأبثك
 شكوى احزاني - أنا التي تراني طروبةً طياراً ،
 وأحصي لك الاثقال التي قوّست كفتي وحننت
 رأسي منذ فجر أيّامي - أنا التي أسير محفوفةً بجناحين
 متوجّجةً بأكليل ،

أنت
 أيتها
 الغريب

وسأدعوك أبي وأتي متهيبةً فيك مطوية الكبير
 وتأثير الآمر ،

وسأدعوك قومي وعشيرتي ، أنا التي أعلم ان
 هؤلاء ليسوا دواماً بالمحبين

وسأدعوك أخي وصديقي ، أنا التي لا أخ لي ولا

انت

صديق

ابرا

الغريب

وسأطعمك على ضعفي واحتياجي الى المعونة - أنا التي

تخيل في قوة الابطال ومناعة الصناديد

وسأبين لك افتقاري إلى العطف والحنان ، ثم أبكي

أمامك - وأنت لا تدري

وسأطلب منك الرأي والنصيحة عند ارتباك فكري

واشتباك السبل

واذ اسمي التصرف وأرتكب ذنباً ما سأسير اليك

متواضعةً واجفة في انتظار التعنيف والعقوبة

وقد أتعمد الخطأ لأفوز بسخطك عليّ فأتوب على

يدك وامتلأ لأمرك

وسأصلح نفسي تحت رقابتك المعنوية مقدّمة لك

عن أعمالى حساباً لأحصل على التحييد منك او

الاستنكار ، فأسمع في الحالين

وسأوقفك على حقيقة ما يُنسب اليّ من آثام ،

انت
أبها
الغريب

فتكون لي وحدك الحكم المنصف
وما يحسبه الناس لي فضلاً وحسنات سأبسطة أمامك
فتنبهني الى الغلط فيه والسهو والنقصان

ستقومني وتسامحني وتشجعني ، وتحقر المتحاملين
والمتطاولين لأنك تقرأ الحقيقة منقوشة على لوح
جناني

كما أ كذّب أنا وشاية منافسيك وبهتان حاسديك ،
ولا أصدق سوى نظرتي فيك وهي أبرّ شاهد
كلّ ذلك - وأنت لا تعلم !

انت
أبها
الغريب

سأستعيدُ ذكرك متكلماً في خلوتي لأسمع منك
حكاية غمومك واطماعك وآمالك - حكاية البشر المتجمعة
في فردٍ احد

وسأسمعُ الى جميع الاصوات عليّ أعر على لهجة
صوتك

وأشرحُ جميع الأفكار وامتدح الصائب من الآراء

ليتعاظم تقديري لآرائك وأفكارك
 وسأبتين في جميع الوجوه صور التعبير والمعنى
 لأعلم كم هي شاحبة تأفة لأنها ليست صور تعبيرك
 وممنالك

وسأبتسم في المرأة ابتسامتك ،
 في حضورك سأحوّل عنك الى نفسي لافكر
 فيك ، وفي غيابك سأحوّل عن الآخرين اليك لافكر
 فيك

سأتصورك عيلاً لاشفيك ، مُصاباً لاعزيك ،
 مطروداً مرذولاً لأكون لك وطناً وأهل وطن ، سجيناً
 لأشهدك بأيّ تهورٍ يجازفُ الاخلاصُ ؛ ثم أبصرُك متفوقاً
 فريداً لأفاخر بك واركن اليك

وسأتحيلُ الف الف مرّة كيف انتَ تطرب ،
 وكيف تشتاق ، وكيف تحزن ، وكيف تنغلب على
 عاديّ الانفعال برازنة وشهامة لتستسلم بيسانة وحرارة إلى
 الانفعال النبيل . وسأتحيلُ الف الف مرة الى أيّ

أنت
 ليرا
 الغريب
 درجة تستطيع أنت ان تقسو ، والى أي درجة تستطيع
 أنت ان ترفق لأعرف الى أي درجة تستطيع أنت
 ان تحب

وفي أعماق نفسي يتصاعد الشكر لك بخوراً لأنك
 اوحيت اليّ ما عجز دونه الاخرون
 أتعلم ذلك ، أنت الذي لا تعلم ؟ أتعلم ذلك ، أنت
 الذي لا اريد ان تعلم ؟

قرب منعطف السبيل

قرب منعطف السبيل عندما تمثلتُ انقضاء الماضي ،
 وجمود الحاضر ، واستحالة السير الى الامام ، لم يبق لي
 سوى اختيار احدى الميبتين : مية طويلة مفعمة بجشرجة
 القنوط ، ومية الاتحار السريعة المنقذة

فاخترتُ هذه على ان اجعلها كيسةً مانوسة
 لا تلتطخها الدماء ولا تتلوى فيها الاعضاء . واهتديتُ الى
 الازهار المزعوفة التي تطعمُ منها العطرُ بالسمِّ ولهاث
 الردى . ولكن -

هناك ، في تلك الزاوية الضائقة حيث أقام القَدْرُ
 من دواهيهِ على صدري جدران الحديد ومعاقل الرصاص ،
 هناك قرب حلول الشفق ، برزت فجأةً امامي
 وأخذت تتكلم عن معانٍ اختفت طي المعاني ،
 وأشياء توارت في الاشياء ، وممكنات حُجبت في

قرب
منعطف
السبيل

المستحيلات ، وخيرِ حصحص وراء الشرِّ ، ونورِ أشرق
في لجج الظلام ، وسموِّ تجلّي خلال الحقارة
وكانت يدك تتحرك متريئةً متأنية فبدت منها الاشارات
سحرية ساهية ، كأنما هي انعكاس إشارات خفية على المرايا
المتبحرة في مهجور القصور . وضاء الجوُّ حولي بالألاء
الشرف والابهة والسؤدد . ومشى نظرك تواءاً اليّ يكتشف
فيّ جديد العوالم

نظرت ، فعلمتني اعزاز الوجود وأدركتُ اني
ما تخيلتُ أجلي عند حينه الآ لا تشدد وأنحفز لوثبة
كبيرة - كما يتنفس المتسابقون متمشين متجددين قبيل
خطير الاشواط

فارتدت الحوائط قليلاً قليلاً وتنحّت الحصونُ
مسفرة عن المروج والرياض واتشحت الكائناتُ بنقابٍ
وسيم لا تنسجه سوى يدُ الوجدِ على زعم المتيمين
ولكن ، أتى جاء الوجدُ؟ .

أنتَ لم تكن تهتمّ بي وأنا لم أكن اهتمّ بك . ولكن
 علامَ تشلّ أوصالَ روحي للدنوّ من مكانٍ حللتهُ؟ وعلامَ
 اضطرّ ابك وارتعاش يديك اذ تلمح خيالي عن بعدٍ؟

أنتَ لم تكن تنظر اليّ وأنا لم اكن أنظر اليك .
 ولكن لماذا كانت تبليبل خواطري وأهرب عند قدومك؟
 وأنتَ ان لم تستطع السكوت ، لماذا يخرج صوتك
 مقطّعاً مهتدجاً كأنك تجاهد لتقهر تأثراً ما؟

أنتَ لم تكن تبعاً بوجودي وأنا لم اكنُ أعبأ
 بوجودك . ولكن لماذا كنتُ اخاشنك متعملة
 الإعراض وعدم الانتباه؟ ولماذا ، وانت مثال الوداعة
 والتهذيب ، كنت تكفهرّ لحضوري وتنقبض كمن يودُّ
 ان يتجنّى عليّ ، او كمن يخشى ان يُرمى بالبشاشة والجمالة .
 ثم يعودُ نظرك في المرة التالية يستصفحني عن زلته -
 أنا التي كنت اغتفرُ لك واتناسى مرغمةً قبل ان تُحدّث
 نفسك بالاستغفار

فرب
منعطف
الدهيل

أنت لم تكن تفكر فيّ وأنا لم أكن أفكر فيك .
ولكن لماذا كنت أحيّدُ عن طريقك لئلاّ ألتقي بك
أنا التي أودُّ أن أبحث عنك في كلِّ مكانٍ ؟ ولماذا كنت
تتقن خطواتك إذ تعلم اني أرقبها ، وتنغم نبرات صوتك
وتنوعها إذ تعلم انها واصلة اليّ ؟

أنت لم تكن لي شيئاً وأنا لم أكن لك شيئاً .
ولكنّ وجوه القائمين حولك كنتُ أراها متألّقة بنورك .
وأنتَ كانت تدهشك كلُّ حركة مني كأنها لم يأتها قبلي
إنسان

أنتَ لم تكن لي شيئاً وأنا لم أكن لك شيئاً .
ولكن أليس ان ارادتك حلقت فوق خواطري كيد آمرة
فتقت لاجلها الى الطاعة والخضوع ؟ أو ليس انك كنت
تحاول ارضائي وإثارة اعجابي حتى ارتفعتَ بذلك فوق
ذاتك المألوفة فتجليت بهياً عظيماً ؟

من أنتَ ؟ وماذا كنتَ ؟

أكنتَ وحيًا من فيض شاعريتي المكتظة ، وطيفًا
من أطراف شوقي وعذابي؟ أم أنتَ حقيقة محسوسة مرت
في أفق حياتي مرور السفن في البحر الى الشواطئ النائبة؟
لقد كنتَ وحيًا من فيض شاعريتي المكتظة ،
وكنتَ طيفًا من أطراف شوقي وعذابي ؛ وأنتَ حقيقة
محسوسة مرّت في أفق حياتي مرور السفن في البحر الى
الشواطئ النائبة
يا مهدّبي !

فرب
منه
السميل

أين وطني؟

عندما ذاعت أسماء الوطنيات
 كتبتُ اسمَ وطني ووضعتُ عليه شفتيَّ أقبَلُهُ ،
 وأحصيتُ آلامه مفاخرةً بأنَّ لي كذوي الأوطان
 وطناً ،
 ثمَّ جاء دورُ الشرح والتفصيل فألمتُ بالمشاكل التي
 لا تحلّ

وحنيتُ جهتي ، وأنشأتُ أفكراً ؛
 وما لبثتُ أن انقلب التفكيرُ في شعوراً ،
 فشعرتُ بانسحاق عميق يُبدلني
 لأنني ، دون سواي ، تلك التي لا وطن لها

أبن
وطنى
يوقظني في الصباح نفيرُ الجيوش المودعة . ولدوي
أبواق النحاس أنغامٌ تثقلها دموعُ الفراق ، وأهازيجٌ يُبجِّحها
طلبُ التفادي والاستبسال . فأمقتُ الظافرين وأودُّ لحظةً
ان أتوحدَ وإياهم لأنسى في ثروتهم فقري ، وفي بطشهم
هواني

وإذ تمثرُ مواكبُ الأمم المظلومة منكسةً أعلامها وراء ،
نموش الشهداء ، وهتافُ الحرية والاستقلال يتغلب على
أنين الثكل والتفجُّع منها - أعتزُّ لأنني ابنة شعب في حالة
التكوُّن والارتفاع ، لا تابعة شعبٍ تكوُّن وارتفع
ولم يبق أمامهُ سوف الانحدار

ولكنَّ الشعوب تهمسُ همساً يطرُقُ مسمعي :
فهؤلاء يقولون « أنتِ لستِ مِنَّا لأنكِ من طائفةٍ
أخرى » . ويقول أولئك « أنتِ لستِ مِنَّا لأنكِ
من جنسٍ آخر »

فلماذا أكون ، دون سواي ، تلك التي لا وطن لها ؟

ولدتُ في بلد ، وأبي من بلدٍ ، وأمي من بلدٍ ، وسكني
 في بلد ، وأشباح نفسي تنتقل من بلدٍ الى بلدٍ . فلا أرى
 هذه البلدان انتمي ، وعن أيّ هذه البلدان أدافع ؟
 يمضي الموتى تاركين للأحفاد وراثت حسيّة ومعنوية
 ينعمون بها ، وشرفاً قومياً يعزونه ، وتقاليده يحافظون
 عليها . أما أنا فلم يبق لي من آثار موتاي سوى الاثقال
 المعلقة في يدي وعنقي . اثقال اذا حاولت طرحها والفرار
 جرّت قدماي ما هو اثقل منها - فهبطتُ على طريق
 جلجاتي تشير نحو اصابع المتشققين الساخرين ، وليس من
 يد رحيمة تعين وتواسي

واما متاع موتاي فاستولى عليه أولئك الأبعاد .
 ولو تخلوا عنه لتحكم بي هؤلاء الاقارب الذين عيّرتني
 منهم القحة بصفات انقلبت عندهم عيوباً ، وانكر
 عليّ الحسد منهم والحمول حقّ التمتع بما اشترته بالجهود
 والمبرات

بأيّ اللهجات اتفاهم والناس ، وبأيّ الروابط ارتبط ؟

أين
 وطني

أُبن
 وطني
 أَّتَقِيْدُ بلغة جماعتي وهي ، على زعمهم ، ليست لي ولم توجد
 لأمثالي ؟ أم اكتفي بلغة الغرباء وأنا في نظرهم متهجمة
 عليها ؟ أأصون عادات قديمة يجارها اليوم الناهضون أم
 أقبل الاساليب الحديثة فأكون لسهام المحافظين هدفاً ؟
 إذا جاملتُ العتيّ توصلًا إلى ما لا غنى عنه قالوا عبدة
 تمرغ جبهتها في التراب وتترلف ؛ وإذا جعلت لي من
 المصارحة سلاحاً ، ومن الأنفة حصناً سطت عليّ اليدُ
 الحديدية ، ومزقتني السنة « الاخوان » ، وانقضت من
 حولي « المخلصون » لأنهم إنما خلقوا لمساعدة نفوسهم
 فلماذا قُدِّر عليّ ان اكون ابنة وطنٍ تنقصه شروط
 الوطنية ، فأمسي تلك التي لا وطن لها ؟

أُبن
 وطني
 كلُّ امةٍ تحدتُ عن عظمتها وفضلها على المدينة وبنها
 في صيانة حقوق الضعفاء ، - فبأيّ الام اعجب ؟
 وكلُّ امة - دون سواها - تحمي ذمار الحرية وتذود
 عن العدل والمساواة والاخاء ، - فعلى أيّ الام اتكل ؟

ابن
وطى
وكلُّ دين - دون سواه - احتكر لا تبعه الشرف
والفضيلة في الحياة ، والسماء والالوهية بعد الممات ، - فأبي
الاديان اعتنق ؟

وكلُّ حزب يدعي الصدق والمعصمة ، وكل فرد
صائب الرأي يضحى خيرا لخاص للخير العام ، - فأبي
الاحزاب اصدق وأي الافراد اتبع ؟

ما سمعتُ وصف بلادٍ إلا سعى اليها اشتياقي
ولا حدثتُ عن بسالة أمةٍ وسؤدها إلا تمنيتها امتي
ولا اصغيت الى صوت قوم إلا خلته صوت
بأسي وأملي

ولا تبينتُ عيوب شعبٍ ومفاخره إلا أدركتها
صورة مفاخري وعيوبي

ولا رمت طائفة طائفةً بالتعصب والمغالاة إلا
وجدتُ في هذه المغالاة وذاك التعصب

ولا تخيلت مسافات الارض وابعاد الفلك والصحارى
والبهار والكواكب والعوالم إلا احتاجني الحنين اليها

كأنها اوطان يرددُ هواؤها ترنيمة طفواتي وتنتظرنني فيها
قلوب الاحباب والخللان

أما وقوى إعزازي تتوزع باستهتارٍ وجنون ، فلماذا
تجمع قوى اكتثابي عميقة مرهفة لاني انا وحدي
- وحدي في الدنيا - تلك التي لا وطن لها ؟

بنسيم وطني امتزج الوحي والنبوات
ومع اشعة الشمس فيه انتشرت سورُ الجمال
فكانت له حياة وهاجة متلظية وراء مظاهر الجمود
والهجران ،

وخيالات الآلهة تسيرُ ابدأً فيه متملة متأملة
من القمم والوديان ، من الصخور والينابيع ، من
الاحراج والمروج تتعالى معاني بلادي في الضحى ، وعند
الشفق تتكاملُ ارواحُ الاشياء وتجمهر كأنها تتداول في
إنشاء عوالم جديدة

أحبُّ عطور تربة الجدود ورائحة الارض التي
دغدغها المحراث منذ حين
أبهر
وطني

أحبُّ الحصى والاعشاب ، وقطرات الماء الملتجئة
الى شقوق الاصلاذ

وأحبُّ الاشجار ذات الظلّ الوارف أكانت محجوبة
في احشاء الوادي ، ام اسفرت مشرفة على البحر البعيد
وأحبُّ الطرق الوعرة المتوارية في قلب الغاب ،
وتلك المتلوية على اكتاف الجبال كالافاعي البيضاء ، وتلك
السبل الطويلة الممتدة الممتدة ، وكأنّ الغبار الذهبيّ منها
ينتهي الى قرص الشمس

ولكن أيكفي ان نحبّ شيئاً ليصير لنا ؟ وهكذا
رغم حبي الأفيح اراني في وطني تلك الشريدة الطريدة
التي لا وطن لها !

جرّبتُ من الوطنيات صنوفاً : وطنية الافكار
والاذواق والميول
ابن
وطني

أين
وطنى

وتلك الوطنية القدسية المثلى : وطنية القلوب
فوجدتُ في عالم المعنى ما عرفته في عالم الحس
إلا بقعة بعيدة تفرّدت فيها الصور وتسامت المعاني .
ثقفني أبناء وطني ، وأدبني ابناؤ الاوطان الاخرى
وأسعدني أبناء وطني وأسعدني الغرباء ايضاً ،
ولا ميزة لأبناء وطني في انهم اوسعونني إيلاًماً
فقد نالني من الغرباء اذى كثير :
فبأي الاقيسة أقدس أبناء الوطن ،
ولماذا اكون انا وحدي تلك التي لا تدري أين
وطنها ؟

أين
وطنى

ايها السعداء ذوي الأهل والاطوان ، عرفوا لي
سعادتكم واشركوني فيها !
رضيتُ حيناً بأنه ليس للعلم والفلسفة والشعر والفن
من وطن ، اما اليوم فصرت أعلم انّ للعالم والفيلسوف
والشاعر والفنان وطناً . صرتُ أعرف ضعف الانسان الذي
(١٠)

أبن
وطنى
إذا مال إلى النوم والراحة طلب مضجعاً ناعماً لجسمة المضنى
لا مرجحاً واسعاً يتناوله منه الحرُّ والبرد ، ولا بجرأً عرمرماً
تبتلعهُ منه اللجيج

* * *

ابن
وطنى
إني اعبدُ تفطُّرك الصامت ، أيها الفياسوف القديم ،
انت الذي بعد ان اكتشفت آيات الفكر وعجائبه ،
ارسلت زفرة كأنها شكوى الدهور فقلت : إنما اريدُ
صديقاً لأموت لأجله
وَأنا اجثو الآن خاشعة امام ذكرك مرددة
ما يشبهُ قولك : إنما اريد وطناً لأموت لأجله - او
لأحيا به !

عند قدمي أبي الهول

الافق واسع واسع والليل عميق عميق ، وأنوار
 المساكين وأضواء الشهب في احشاء الدجى جراح وحروق .
 وأصوات المدينة تحدث عن اوصاب المدينة جاهلة
 ما عداها . لذلك جئتُ ناديك انشد الاختلاء وراء تلال
 فصلت بين عمران البشر الضاح المقيّد وعمرانك المستقل
 في حضن السكوت غير المتناهي
 تتنالي على البسيطة شعوب ودول تأتي بالاديان
 والشرائع واللغات والعمادات ، وتبارى في محق عمل
 الاجيال زلازل وبراكين وصواعق وأوبئة وثورات وزعازع
 وطوفانات - وانت هنا رابض امام اهرام انتصبت في
 وجه الفضاء تنقض احكام الفناء . والهياكل تلتقي بين يديك
 حديث الدهر بالفاظ الحجر والصوان ، وتعزّزه بصور
 الارباب والملوك والكهنة . وكأن ما نزل بها من العمادات

عند

قدمي

أبي

الهول

عند
قرصى
ابى
الرهول

بعض تلك الصور المثيلة خطابها بلاغته وروعته
ها هنا تربض فريداً على وثير الرمال في مملكته
الفيحاء مملكة الكتمان والجلال والايما ، وعظمة القياصرة
حديثه النعمة دميعة حيا ل عظمتك المجرّدة الرفيعة .
والانسان المتطاوّل الشغوف بهتك الاستار يدخل ايوان
وحدتك السني . ولكنك في غيبوتك غير منظور لهذه
الاشباح الفانية ، وغير ملموس لهذه الايدي الذبابة
المتنقلة على مخالبك ومنكيك تلهياً واستقصاء
غير ان الانسان ليس بالمتلهي المستقصي فحسب ،
بل هو خصوصاً الدنف الممتألم . يتناوله من الكون قهراً
دوّار الفواجع والنوائب فيدرك ان الثبات العام منسوج
من الوجل والاضطراب ، وان البقاء الظاهر مصنوع من
التغير والتحوّل . يدرك مأساة الكفاح بين الحرية والقدر .
يدرك ان عجاجات القوى تضع جزافاً في شلال الذراري
والانسال الجارف الآلهة والمحاربين والشارعين والقديسين
والانبياء والقلة والقتلى سواسية . يرى التعامة على طريق

العروش ، والصواعج والتهيجان تختلط بقيود الجرمين . يرى
 الاعراس والجنازات والموالييد والوفيات يتخللها العوز
 والبطر ، والمرض والعافية ، والحياة والامانة ، والدعوى
 والتطير ، والضلال والهدى . وازاء ما يفطره ويعذب سواه
 يظل الكون على ماهو ، والخلائق والاشياء تتوَّثب فيه
 وتتولد كالمياه الرهوة الرجراجة ، وكل ما خال منها وشيكاً
 كان نهاية تعقبها بدايةً وانقاصاً تستوي عليها الأسس

واذ بزفر طالباً للحوادث تفسيراً يقال له « هذه هي
 الحياة ! » « ما هذا الا الحياة » « لا تكون الحياة الا
 كذا » نعم ، يا أبا الاهوال الساهي ، ازاء الهبة والحرمان ،
 والوفاء والغدر ، والبياض والسواد ، والفخار والمذلة ، والغلبة
 والانحدار . ازاء كل مسرة وكل توجع ، التفسير واحد
 لا يتغير ! اننا نفسر الحياة بالحياة ، ونداوي داء الحياة بمصل
 الحياة ، ونهرب من الحياة لنجدنا والحياة وجهاً لوجه

وانا صورة من ملايين صور الحياة نهضت أفهم

عند
 قرص
 ابى
 الهول

الحياة كما نهض جميع اولئك المساكين . وكما وقفت قديماً
 على طريق طيبة تلقي الاسئلة على العابرين وفتت أسأل
 ابناء السبيل عن معنى الحياة . فقال أحدهم « هي صدر الام »
 فالتصقتُ بصدر امي فاذا انا منه في عشّ دفء
 وحرارة وحسن مناعة وأمان ، لا ترعبي الرياح العاصفة
 والرعود الداوية ، والبروق المللمعة والسيول المتدفقة . ومرّ
 يوم . فضاقت بي صدر امي وعدتُ الى موقفني أسأل
 « ما هي الحياة ؟ »

عند
 قرص
 ابي
 الهول

فاجاب محيّب « هي الدين والتقوى »
 فبادرتُ أمرغ جبهتي على عتبة المذبح مخفية اداة
 التقشّف والامامة تحت مزركش الاثواب ، وأقرع صدري
 مستغفراً عن آثام لم ارتكبتها وذنوب لم تخطر على بالي .
 فناجتني الصور الصامتة في أطرها وهمست لي الصلبان
 بنكال الحربة والمسامير . فمرّ يوم . وصدر الهيكل الذي
 كان ليناً عطوفاً انقلب كالمرمر صلابة وبرودة . وصارت
 الطقوس الدينية ترتيباً مسرحياً . وأرواح البخور التي كانت

تنزل عليّ فيض الوحي والالهام غدت مزعجة كعطور
 تنشرها ذوات الذوق الكثيف . فعدتُ الى مكاني من
 السبيل سائلة « ما هي الحياة ؟ »
 فقال صوت الغرور « وهل هي للفتاة غير التيه
 والدلال والتظرف ؟ »

فضيتُ أساجل مرآتي فتعشقتُ صورتني فيها . ولم
 اكن أفارق تلك الصورة الا لأبحث عما يزينها ويحملها .
 وكان يبكي مشهد الباكين . فاصبحت وقد تذوقتُ لذة
 اللهو واللعب في نسل خيوط القلوب . ومريوم . فأطلَّ
 شبح الملل في عيني فعدتُ أسأل ابناء السبيل « ما هي
 الحياة ؟ »

فعلا صوت الحضارة في صفير البخار وجلبة الآلات
 وقال « هي الثروة والجاه العالمي واهبة العمران »
 فعدتُ في سبيل هذه ، سوى اني لم اصرف ساعة
 حتى تحجر كيائي . فعدتُ والضجر يقتلني أسأل « ما هي
 الحياة ؟ »

عذر
 قد صمى
 ابني
 الرهول

سألتُ طويلاً ، وبكيت غزيراً ، وقنطت حتى طلبت الموت فانبثقت صورةٌ من غور عنائي . لم تتكلم وانما فهمتُ ان الحياة عندها . أرايت ، يا ابا الهول ، النجوم راقصة ؟ بلحظةٍ تملل ثابتُ النواميس فرقصت جميع النجوم حولي ، وخشمت الكائنات سجوداً لدى من هو شفيعها عند ذي الجبروت ، وتناقلت الموجودات صورة وجه واحد - او نخرت بنسخ خطٍ من خطوطه وانتحال معنى من معانيه . واستحدثت جميع الاشربة نورها من تألق عينين اثنتين ، وصارت زرقه الجوّ وبهجة الربيع وطلاوة الامواج انعكاساً مبهماً ضئيلاً لتلك البسمة - تلك البسمة البطيئة الرقيقة النادرة . واستدعتني الالهية الى عرشها فوضعت يدي ويد البارئ على لولب الوجود وقت واياها بادارة حركة الاكوان . فرّ يومٌ . فقمعت ثورة النجوم وقدّمت خضوعها للنظام الاوحد ، وعادت لكل كائن اهميته في الخليقة . فرجعت أسأل العابرين « ماهي الحياة ؟ »

عند
فدسى
ابى
الرهول

فقال صوت العلم الرزين « انا الحياة لأنني أشرح

الحياة »

عند
قدمي

فألقيتُ بنفسي في الخضمّ الزاخر أعالج العلم المادي
تارةً والفلسفة الروحانية اخرى . كم من علم خلقنا، أيها
المليك ، لنبحث عمّا لا يُعلم ، وكَم من لغة ابدعنا لنشرح
ما لا يُشرح ! فهداني الجهابذة الى القوة التي يتمُّ
بها التفاعل الكونيُّ بين الاجرام فلا تفلت من عناقها
شمس ولا ذرة : الجاذبية . فسألتُ وما هي هذه الجاذبية ،
من رآها ، من سمعها ، من لمسها ؟ أهي وسيطٌ ينتقل على
تموّج الاثير ، ام هي سيالٌ يتموّج بنفسه مستقلاً عن
العناصر ؟ فاجابوا « ذاك سرُّ الحياة وهو مجهول »

الحياة ! مجهول ! لفظتان تمثلان الانفصال والاتحاد

جميعاً

هذه الرمال التي تفرش ربوعك بطنافس ناعمة -
منذ أربعة آلاف سنة ، يا حارس الصحراء ، منذ اربعة
آلاف سنة والعلم يقبّ الذرة الواحدة منها ويديرها

ويقسّمها ويجزئ، تقسيمها . لقد نخرها بحثاً ودرسا ،
 وقتلها تشريحاً وتحليلاً متمسكاً علة تركيبها واللغز المتواري
 وراء محلها . فسارت جهودهُ من مجهول الى مجهول ومن
 استفهام الى استفهام . وما زال مثلي انا الطفلة الغريرة
 يسأل « ماهي الحياة؟ ماهي الحياة؟ »

كذلك طال استجوابي للسائلة فضحك كثيرون
 ومضوا لأنهم لم يفهموا . والقليلون الذين وقفوا وأجابوا
 ارهقوا في اللجاجة والحرقه والاسى

يا وليد بابل ام السحر والتعاويد ، الى أي حقيقة رمز
 بك الرامزون؟ لماذا جعلوا بين كفيك درجات خفية تفضي
 الى سرداب امتد وتاه في مجاهل الاهرام؟ لماذا اودعوا
 قلبك مفتاح باب الغيب حيث كان العرافون يستمعون
 للالهة الهواتف؟ ولماذا لا يعرف موضع اصغرك الاجوف
 منك سوي شفتيك المطبقتين على كرا الاعقاب؟
 تفتقر شفتك دون كشف واعلان ، انا كيد هذه

عند
 فرسى
 ابى
 الهول

عند
 فرسى
 ابى
 الهول

البسمة ام ايهام ؟ أإشفاق على دماء المفاداة وقد أذيت
 فيها الاوحال ، ام لأنّ ما هو كائن أقلص من ظلّ حصاق
 حيال ما سيكون ؟

هذا نيلك رضاب الطبيعة المحي عبد من منبعه الى
 مصبه لما يظهره من اريحية ووفاء ، اتدرك معنى احمراره
 الصيفي ومعنى خصبه ؟ أتفهم معنى شكل هندسي تجلّت به
 اهرامك الخالدة ؟ انت الذي نحتك الكلدان قبل ان يرسموا
 دائرة البروج ، أتعلم ما اذا كانت هذه الاهرام منائر
 للصحراء ام مدافن للفراعنة ، ام حصون دفاع ، ام
 مستودعات كنوز ، ام مجتمع عشاق ، ام محفلاً فيه يدين
 اوزريس موتاه ؟ اتعلم لماذا أدرجت اوراق البردي
 واسرارها الهيرغليفية طي الاكفان مع الموميات في
 التوايت والنواويس ؟ أتعرف معنى سوسن الماء وزهرات
 عرائس النيل العائمة على النهر المقدس ؟ نحن الجهلاء نعلم ان
 جميع هذه انما هي رموز الى الحيا المتحكمة فينا ، وانت

عذر

فرمى

الى

الرهول

عند
قدمي
الي
الرهول

ألم يبقَ لك ما يُكتسب ههنا لتحوّل نظرك وتسكت
سكوتاً لا ينتهي؟

ام انت لا ترقب هناك سوى ما نرقب؟ أترصد
حركة الاصبع الموجه الابرة الممغنطة نحو الشمال تجرُّ بعدها
النُظم الشمسية وهيئات الكواكب؟ أم تستعرض مواكب
الانوار والظلمات، وجيوش الثوابت والسيارات، وجحافل
الامكنة والازمنة؟ ام انت تهجأ اسم الحياة بخطه قلم
النواميس بحروف الشمس والمذنبات والسدم والعوالم؟ أم
يذهلك تدفق الفيض الالهي من وراء حجب الوجود
ليتكوّن اثيراً وهواءً وناراً وماءً وهيولى؟

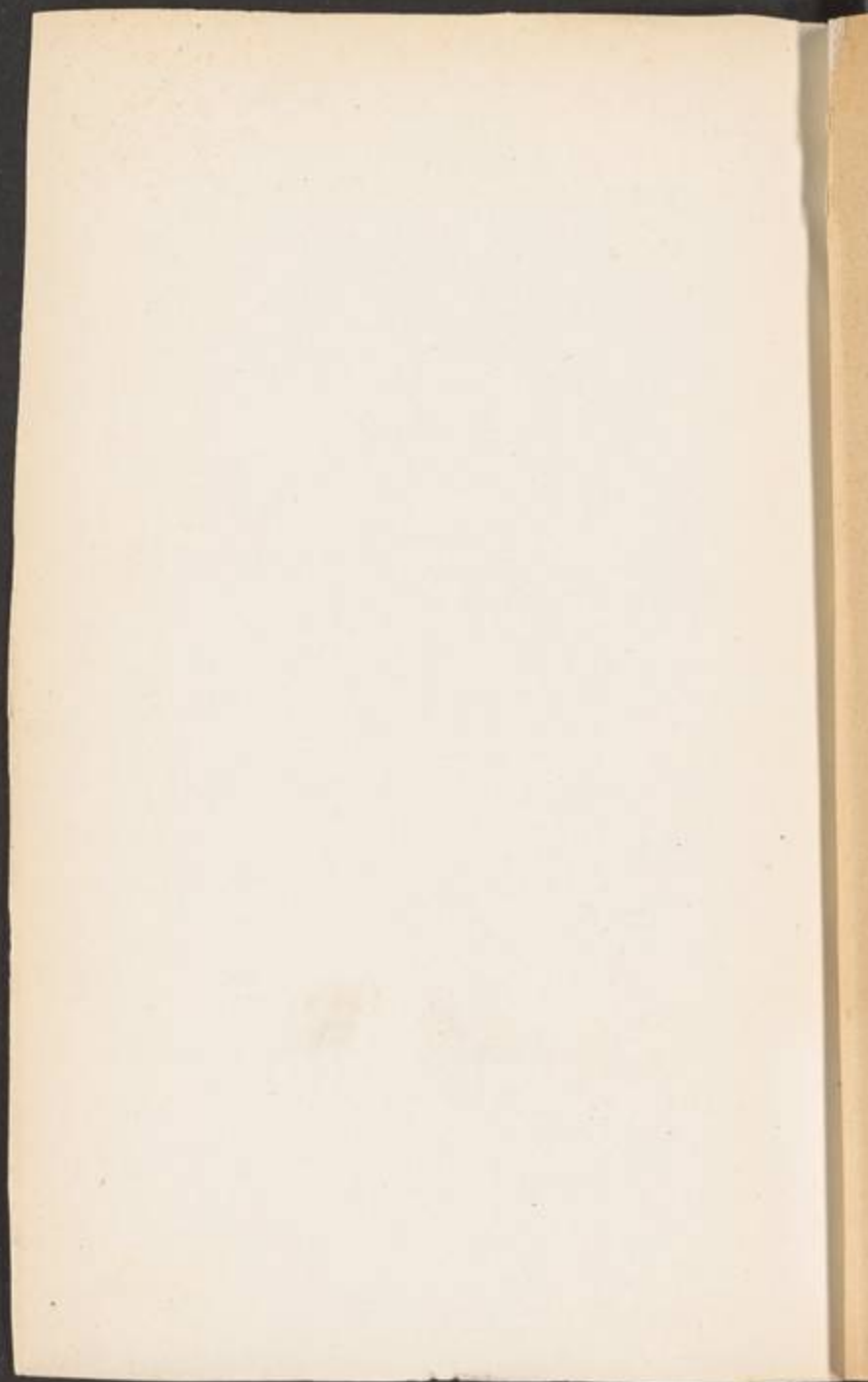
نحن مثلك نترقب ونتوقع ونتوقع ونترقب، فهل تعلم
ما هذا الذي ننتظره وتنتظره الآفاق المنحنية علينا؟ لقد
سُجناً في حالك الظلمات تحترقها خيوط النور حيناً بعد حين
فنهبٌ نحسبها مقدّمةً لتحقيق الرجبة، وما هي غير السراب
الخداع. فيزيد الظلام حلكاً وتلبث في الانتظار مترددين
لقد دُفن نصفك في الرمال المغيرة على علاك وما زلت

عند
 قمرى
 ابى
 الزبول

ترقب الشرق وتبتسم ، ونحن تغزونا الكوارث وتفتك بنا
 الدواهي فنظله نترقب ونرجو
 أصحیح ان لغزك لغز الدهور ام خلقك الانسان رمزاً
 له كما خلق آلهته على صورته ومثاله ؟ لقد أعطاك من الثور
 الخالصتين مكمين الغريزة الجوفية الرامزة الى السكوت ،
 ومن الاسد برائن التحمّس والامتامة الرامزة الى
 الجرأة ، ومن النسر الجناحين المحققين في بعيد المدى الرامزين
 الى المعرفة ، ومنه - من انسانيته - اعطاك الرأس مشيراً الى
 التبصّر والارادة المدركة المتغلبة على الغريزة والانفعال
 والخيال . فكيف يحصر فيك جميع هذه النزعات التي
 تتجاذبه ولا يضيف اليها ما بقي ؟ لماذا لا يكون ابتسامك
 الدائم صورة الامل المتجدّد أبداً فيه . أليس انه . مثلك لأنك
 مثله ؟ اليس ان في اعماقه أبا هولٍ شاخصاً ابداً في السموات
 اللى كلما ظفر بفجرٍ وشروق لبث يتوقع بزوغ كوكب
 جديد وشروق شمس ساطعة ؟

فهرس

صفحة	الكتاب الاول • من كوة الحياة	صفحة	
٦٧	الحكيم وطالب الحكمة	٥	
٧٠	ليلة عيد النصر	١٢	
٨٠	الطبيعة المعمرة المدمرة	١٥	
٨٣	يوم الموتى	٢٤	
—————			
الكتاب الثالث : في مرقص الحياة			
٩٩	كن سعيداً !	٣٠	
١١٠	السهرات الراقصات	٣٤	
١١٨	الموضوع التائه	٣٨	
١٢٧	أنت ، أمها الغريب !	—————	
١٣٣	قرب منعطف السبيل	الكتاب الثاني : نحو مرقص الحياة	
١٣٨	أين وطني ؟	٤٩	نحو مرقص الحياة
١٤٧	عند قدمي أبي الهول	٥٧	الذكري الجديدة
		٦٢	العيون



NYU - BOBST



31142 02910 5742

PJ7876.I9 Z43 1923

zulumat w

PJ
7876
.I9
Z43
1923
c.1